أحمد مختار عمر - من الترجمة الآلية إلى الترجمة الفنية

أشرف عبد البديع عبد الكريم

١/١: مهاد تاريخي: العربية والترجمة:

لم يكن الاهتمام بالترجمة وليد اللحظة الآنية، بقدر ما يمكن اعتباره ملازما للعرب ملازمة وجود، على ما تورده المصادر التاريخية[١]، وكيف أن عرب الجاهلية طوعوا الكلمات غير العربية إلى استعمالاتها، ثم ما لبث الأمر أن تغير في مرحلة مفصلية في حياة الدولة الإسلامية، كما حدث في العصر العباسي حين ترجموا علوم اليونان واجهتهم المشكلة فتصدوا لها، وكان هذا الاتصال الأول والمؤثر في حياة التعامل مع المصطلحات الأجنبية بشكل مباشر وفاعل ، ثم كان الاتصال الثاني في العصر الحديث عقب الاتصال المصري بالغرب على يد محمد علي، حين بدأ يرسل الإرساليات والبعثات الدراسية إلى أوربا، وهنا كان الاتصال مؤثرا جدا، وأثره واضح على الدراسات العربية المترجمة، وهي مرحلة رفاعة رافع الطهطاوي ورفاقه التي كانت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. ثم كانت المرحلة الأخيرة التي تعنينا نحن اللسانيين، وقد بدأت تقريبا مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة حين أُرسل جماعة من اللسانيين العرب للحصول على الدكتوراه من الجامعات الغربية، وهنا واجهوا مشكلة عصية، فحاولوا أن يقدموا لها حلولا، وكان قد تأسس قبل ذلك مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٢، وبدأ العمل به ١٩٣٤م في القاهرة، وأقيمت المؤتمرات الدولية للترجمة والتعريب، وخصصت المجلات الخاصة كمجلة اللسان العربي والمعجمية ... إلخ، وعلى الرغم من كل ذلك فإن المشكلة تستعصي على الحل؛ لأسباب عديدة لا داعي للخوض فيها في هذا السياق، وقد انزلق اللسانيون جميعا إلى هذه المشكلة ذات القرار البعيد، على الرغم من أنهم الموكل إليهم تقديم الحلول، فإذا كانوا مختلفين في كيفية التعامل مع هذه المصطلحات، فإن هذا لم يقتصر على ذلك، بله لدى الباحث الواحد.

وقد قسمت البحث عددا من العناصر، بحيث تجلي جوانبه على النحو الآتي:

١/١: مهاد تاريخي موجز ،،، العربية والترجمة.

٢/١: مكانة الشيخ في الدرس اللساني والعنوان المقترح.

٣/١: مادة الدراسة.

٤/١: آلية قراءة المصطلحين لدى الشيخ وطريقة صياغتهما في البحث.

٥/١: قراءة للمصطلحين لدى الشيخ في ضوء اقتراحات الأنطاكي.

(١) ليس المقام مقام سرد تفاصيل جوهرية في هذا الشأن، وإنما نكتفي بالإحالة إلى بعض المصادر التاريخية ... أبو الفرج الأصفهاني ٦ / ١٢٧على سبيل المثال، وكوركيس عواد: الورق أو الكاغد؛ صناعته في العصور الإسلامية، ١ / ٤١٢: ٤١٩، عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية، ص ٤١ :٤٣ على سبيل المثال.

١/٦: دراسة تطبيقية لمصطلحي Consonants و Vowels في "أسس علم اللغة":

١/٦/ ١: المعالجة الأساسية.

١/٦/٢: المعالجة التفصيلية.

١/٧: دراسة تطبيقية لمصطلحي Consonants و Vowels في"دراسة الصوت اللغوي".

١/٨: خلاصة الكلام على مقترحات الشيخ أحمد مختار.

وستعالج هذه المطالب على الانتظام والاتساق الوارد أعلاه، فيما يستقبل من حديث ببيان شافٍ ووافٍ

<u>١/٢: مكانة الشيخ في الدرس اللساني والعنوان المقترح(•):</u>

لم ألتق بالشيخ الجليل إلا مرة واحدة في القاهرة حسوة طائر، حين ترقية أحد الزملاء إلى درجة أستاذ، وكان الشيخ يومئذ عضوا بلجنة الترقيات، وعلى الرغم من عدم الاتصال المباشر به، قد تتلمذت على مؤلفاته وقد أفدت منها ككل الباحثين.

والشيخ حقيق بالإمامة في هذا الباب من العلم، ولا يعني البحث في مؤلفاته، أن هذا انتقاص منه، حاشا وكلا، وقد حاولت، والله، جاهدا في كيفية إيراد اسمه، فلم أجد أفضل من صيغة الشيخ أو الشيخ الجليل، وأنبه إلى أن هنالك ثلة من العلماء والباحثين الذين سترد أسماؤهم في ثنايا البحث، وستكون الإشارة إليهم بأسمائهم فقط، تمييزا للشيخ وليس تقليلا أو انتقاصا منهم، وهو عندي من الحفاوة والمكانة والإجلال، إذا ذكرت هذه العبارة، فالمعنى هو ما أردت، وليس لها معنى آخر؛ خشية أن يتلقفها المغرضون والمرجفون.

ولم يكن اختيار الشيخ اختيارا عشوائيا؛ فهو من المعدوديين الذين قدموا دراسات كثيرة وعميقة في اللسانيات العربية، أسهمت في أن تتبوأ مكانة مرموقة، كما أنها ساعدت كثيرا في أن يقع الاختيار عليه ضمن مجموعة من الباحثين العرب؛ لمناقشة أعمالهم في هذه السلسلة التي تحاول أن تقدم قراءة لهذين المصطلحين (Consonants و Vowels) في كيفية اختيار المكافئات العربية لها، وهذه الخلافات بين الباحثين العرب مردها إلى أسباب كثيرة وعديدة؛ منها ما هو ثقافي، ومنها ما هو قُطري ... إلخ، فإذا كانت المشكلة ليست بين الباحثين، بله لدى الباحث الواحد في عدد من

(•) لكاتب هذا البحث بحث بعنوان "نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس. وينبغي الإشارة إلى أن هذين المصطلحين من المصطلحات الأساسية في الدراسة الصوتية القديمة والحديثة على السواء، ومن ثم، فقد نالا اهتماما كبيرا في الدراسات الصوتية الحديثة، خاصة حين محاولة نقلهما إلى العربية، ومن هنا تعددت المقترحات لهما، وعندئذ لم أستطع أن أتعرض لكل المؤلفات اللسانية العربية؛ لكثرتها من جهة، ولطول الفترة الزمنية التي تزيد على سبعين عاما من جهة أخرى، وعلى هذا، فقد جاءتني فكرة أن تناول هذين المصطلحين في بعض المؤلفات الحديثة على فترات من الزمن، كلما وجدت فرصة سانحة، وعلى هذا يمكن اعتبارها سلسلة بدأت بإبراهيم أنيس، الذي يمكن اعتبار بحثه الحلقة الأولى، وهذا البحث الحلقة الثانية في هذه السلسلة. وأرجو أن يتناول هذا الموضوع أحد الباحثين في دراسة علمية موسعة.

كتاباته، فإن الشيخ يمثلها في هذا حين التعامل مع هذين المصطلحين، أو في مؤلف واحد على ذلك النحو الذي هو موجود لدى إبراهيم أنيس في "الأصوات اللغوية" أو لدى محمود السعران الذي يحتاج إلى إبانة شديدة في هذا المجال، باعتباره من أوائل اللسانيين العرب الذين أولوا هذه القضية اهتماما فعليا وجوهريا منذ ما يزيد عن نصف قرن(١).

أشير ابتداء إلى أن اختياري وقع على الشيخ الجليل؛ لعدد من الأسباب الجامعة المانعة، منها، **الأول:** وهو سبب عام، إذ ألَّف عددا من المؤلفات المهمة في الدلالة والأصوات وتاريخ اللغة العربية والمعاجم والعربية المعاصرة واللسانيات العامة وأخطاء الإذاعيين، فضلا عن الدراسات والأبحاث في المجلات العربية والأجنبية، وعندي أنه لم يترك مجالا من مجالاتها إلا ضرب فيه بسهم وافر، **الثاني:** كان يعنى في مؤلفاته بإقامة مسارد للمصطلحات، وهي تعني الكثير عند من يعانيها ويكابد الأمريَن في اختيار المكافئات المناسبة، ومن ثم فهو يعني اهتمامه الضمني "غير المباشر" بقضية المصطلح، وهو سبب وجيه، وإن كان لا يقل قيمة في خيثيات اختيار الشيخ للبحث. **الثالث:** وهو أنه من المترجمين العرب المعدودين، كما أنه من الذين كتبوا بالعربية والإنجليزية في الوقت ذاته، وهو ما يجعله يعايش المشكلة ليس عن قرب بقدر ما كان يجاهر بها من خلال شيئين، الأول: الاحتكاك المباشر بالمؤلفات الغربية خصوصا المكتوبة بالإنجليزية، الثاني: الاحتكاك غير المباشر بالباحثين الغربيين في المؤتمرات العلمية، وقد يقول قائل إنكم عكستم القضية، إذ كان ينبغي أن يكون العنصر الأول هو غير المباشر، والثاني هو الاحتكاك المباشر، وربما يبدو هذا صحيحا للوهلة الأولى، لكنه يظل يحتاج إلى إعادة نظر؛ لأن الرؤية الأولى يتعامل فيها الشيخ تعاملا مباشرا مع المصطلح اللساني، وهو بيت القصيد، لا الرأي الثاني الذي يلتقي فيه الشيخ في المؤتمرات الذي يتميز بشكل عام بالحديث في الإطار العام، خلافا للأول وهو الاحتكاك المباشر. ومن هنا أردت أن أذكر هذا البيان للإيضاح والبيان الذي هو مقصد كل بحث علمي. ولا ريب أن العنصر الثاني والثاني خاصان خلافا للأول وهو العام.

كما أود أن أشير إلى ملحظ يتعلق بالعنوان المقترح؛ إذ اقترحتُ له الترجمة الآلية، قاصدا بها الترجمة الحرفية لدى الشيخ، وقد جاءتني هذه الفكرة من خلال متابعة الاقترحات في السفرين اللذين يمثلان مادة الدراسة؛ فقد اقترح في "أسس علم اللغة" أربعة مقترحات لكل مصطلح، في حين قدم في "دراسة الصوت اللغوي" مقترحين اثنين فقط، وهذا جعلني أرى أن اقتراحاته في "دراسة الصوت اللغوي" أدق، ولهذا وسمت مرحلة الترجمة في "أسس علم اللغة" بالترجمة الآلية / الحرفية، إذ قدم عددا من المقترحات لا مكان لها في ثنايا الكتاب، على ما سيتبقي في ثنايا البحث، بينما تقلص العدد إلى النصف في السفر الثاني "دراسة الصوت اللغوي"، وهو ما جعلني أنعتها بالترجمة الفنية، على ما يشير إليها العنوان. وقد أوردت هذه الملاحظة في صدر البحث؛ حتى يكون القارئ على بينة، كما أني لن أعيد ذكر هذه الملاحظة في البحث من قريب أو بعيد.

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٢٩.

١/٣: مادة الدراسة:

سيقتصر التركيز في هذا البحث على سفرين أساسيين قدّم من خلالهما اقتراحات عدة للمصطلحين الغربيين، الأول: أسس علم اللغة لماريوباي. وهو ترجمة له، والثاني: دراسة الصوت اللغوي. وهو من تأليفه.

وقد وقع اختياري على هذين السفرين؛ لأنهما يعالجان هذين المصطلحين بشكل موسَّع؛ فالأول تناول الموضوع بشكل معقول ومقبول وهو ترجمة، وفي الترجمة يعمل المترجم ثقافته وعقله ويحاول أن يربط بين اللغتين المنقول منها "اللغة المصدر" والمنقول إليها "اللغة الأم"، وهو بيت القصيد في الترجمات العلمية، وأما السفر الثاني فانصب موضوعه على الدراسة الصوتية صبا؛ فقدَّم فيه تفصيلا ليس في الأول، على ما يبدو بوضوح في ثنايا التحليل والمناقشة. وعلى هذا يمكن اعتبار السفرين عملا واحدا مكونا من جزأين، إن جاز لنا مثل هذا، في بناء المفاهيم الصوتية، على الرغم من أن السفرين مختلفان من حيث المؤلفَين وطبيعة المادة المعالجة فيهما، وسينعكس هذا بشكل واضح على كيفية التعامل معهما، حين محاولة نقلهما إلى العربية أو اقتراح مكافئ لهما. وعلى الرغم من أن الكاتب والمترجم واحد لهما، إلا أن ملاحظ عدة ستتبدى على هذه المقترحات، وكذلك حين مقارنة تلك المقترحات التي اقترحها على فترات من الزمن.

١/٤: آلية قراءة المصطلحين لدى الشيخ وطريقة صياغتهما في البحث:

إنه لمن المفيد أن أتناول الآلية التي تعاملتُ بها في كيفية استخلاص الملاحظات على اقتراحات الشيخ الجليل لهذين المصطلحين، وقد مرت المعالجة عندي بثلاث خطوات، تكوِّن بنية التحليل، وهي كما يأتي:

الخطوة الأولى: تتبعت المصطلحين في مسرد المصطلحات في نهاية كل سفر، وقد حدد فيه المكافئات المقترحة وأرقام صفحاتها، وما اقترحه لها من مقترحات.

الخطوة الثانية: وهي العودة إلى هذه الصفحات المذكورة في مسرد المصطلحات، مع متابعة بعض المواضع الأخرى.

الخطوة الثالثة: وهي تتبع المواضع الشارحة والمفسرة لهذين المصطلحين في مواضع منتثرة من السفرين، وتحتاج هذه الخطوة إلى متابعة دقيقة وربطها ببعضها، وما يمكن أن تقدمه من تفسير وتوضيح يكشف جوانب أخرى غامضة خافية. وجدير بالذكر أني حين أتعامل مع هذين المصطلحين، سأتخذ سبيلي كما يلي:

ـ المصطلحان الغربيان: "Consonants و Vowels" حين الحديث عنهما سأستخدم مفهوم "مصطلح" باعتبارهما مصطلحين راسخين لدى المتخصصين خاصة الناطقين باللغة الإنجليزية منهم

ـ المقترحان "المقترحات" العربيان: الأصوات الساكنة وأصوات العلة "والمقترحات الفرعية الأخرى"، وهما المقترحان أو المقترحات للمصطلحين الغربيين، وهي متعددة، وقد قصدت قصدا

إلى هذا الاستعمال؛ لأنه على الرغم من اتفاق جل الباحثين على مقترحين اثنين من هذه المقترحات التي اقترحت، إلا أن الشيخ استعمل مقترحا آخر، ولم يكن يركن إلى أي منها، على ما سيرد في ثنايا التحليل. ومن ثم سيكون نهجي في التعامل مع هذه المصطلحات كما يلي:

إذا كان الحديث عن المصطلحين الغربيين فسأستخدم مفهوم "مصطلح" بينما إذا كان الحديث عن اقتراحات الشيخ فسأستعمل مفهوم "مقترح/ اقتراح أو مقترحات"؛ لأنه واضح أنه لم يكن يسميها مصطلحات بل كلمات، على ما سيأتي بيانه. أما إذا كان الحديث من جهتي، فسأترجم Consonant بصامت ولـــ Vowel بصائت. ولا ريب أن هذه الاستعمالات الثلاثة لها ما يبررها، فاستعمال "مصطلح" يعني أنه كان واضحا في أذهان المتخصصين الغربيين، وإن كانت هنالك بعض الملاحظات إلي يمكن أن تقال في هذا السياق. بينما استعمال مفهوم "اقتراح" ومشتقاته لدى الشيخ، يعني أن الأمر لم يستقر بعد لمفهوم دون الآخر، أما استعمالي لهذه المكافئات العربية محددة، على ما أشرت إليه أعلاه، فإن هذا له دلالته. كما أشير على جهة التنبيه إلى أن الاستعمالات المتباينة تدل على مراحل زمنية متباينة مر بها المصطلحان الغربيان في كيفية الصياغة العربية لهما، وعلى هذا فهذا الاستعمال المختلف في البحث مقصود.

<u>١/٥: قراءة للمصطلحين لدى الشيخ في ضوء اقتراحات الأنطاكي:</u>

أشار الشيخ الجليل إلى آثار الفوضى في التعامل مع المصطلحات العربية، وتحديدا مع هذين المصطلحين، فقال: من آثار فوضى المصطلحات عدم اتفاق اللغويين العرب حتى الآن على مصطلحين محددين يقابلان المصطلحين Vowels و Consonants. وقد استعملوا في مقابل الأول "الكلمات ولا أقول المصطلحات حيث لا اصطلاح": علة، لين، صائت، طليق، كما استعملوا في مقابل الثاني الكلمات: صحيح، ساكن، صامت، حبيس(١).

ولي مع هذا النص الذي عزاه الشيخ إلى الأنطاكي في كتابه "الوجيز فقه اللغة" وقفة متأنية، فحين عدت إلى كتاب الأنطاكي، وجدته اقترح مكافئين، فاختار لـــ Consonants حبيسا ولـــ Vowels طليقا، وبرر اختياره لهذين المقترحين "في الحاشية"؛ أن فيهما إشارة إلى الفرق الجوهري بين نوعي الأصوات هذين(٢).

غير أن الذي يتبين من خلال نص الشيخ ونص الأنطاكي، أن إشارة الشيخ توحي بأن هذه المقترحات منقولة عن الأنطاكي كلها، وهذا ليس صحيحا، إذ لم يقترح الأخير إلا مقترحين اثنين، وأشار إلى مقترحات الباحثين التي لم ترق له، وهذا يشير من ناحية إلى أن هنالك كمًا من الدراسات التي سبقت الأنطاكي على ما هو وارد في الدراسات الي عرض لها، كما أن هنالك إشارة إلى أن كل هذه المقترحات لم ترق له من ناحية أخرى، على ما سيأتي بيانه.

---

(١) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٤٦ "الحاشية".
(٢) ينظر الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص١٤٦، الحاشية، الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، ص١٣٠: الحاشية.

غير أن ما يستلفت النظر أن الأنطاكي اختار مكافئين؛ لأن فيهما فرقا بين هذين النوعين، حسب تعبيره، وهو قول لا ريب فيه من ناحية، كما أنه يحتاج إلى إعادة نظر من ناحية أخرى؛ إذ الفروق بينهما لا تقتصر على هاتين الصفتين، فالنوع الثاني Vowels أكثر وضوحا في السمع من النوع الأول Consonants، ومن هنا حاول العلماء أن يقترحوا مكافئين قديما وحديثا، فاقترحوا في القديم "الأصوات الساكنة" للأول وأصوات اللين والعلة والمد... إلخ للثاني، وهي تسمية وجدت استحسانا لدى بعض المحدثين، كما هي الحال لدى إبراهيم أنيس وتمام حسان والشيخ الجليل هنا، فإذا كان مقترحا الأنطاكي يعكسان فروقا جوهرية على ما ذهب إليه، فإن ما اقترحه أنيس في فترة مبكرة كان له تأثير وتلقفه الباحثون فيما بعد كما فعل الشيخ، وبالعكس لم ير رأي الأنطاكي أحد من الباحثين، بل لم يشع انتشاره، وبقي يدور في فلكه هو ومقصور عليه، ومن ثم فإن ما ذهب إليه يحتاج إلى تبيان، ومن ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى أن كل مقترح سواء في التراث أم الحديث له حيثياته التي تجعل منه سببا وجيها وكافيا خلافا لما ذهب إليه الأنطاكي؛ أن اقتراحه لو كان كما قال لاختاره الباحثون، وهذا لم يحدث، كما أنه أكثر ترددا في الكلام، وربما يقول قائل: إن هذه الفروق لا تصلح أن تكون مكافئا مناسبا، خاصة أن هنالك فروقا أكثر أهمية، لكن الرد يظل ماثلا: ألا كان بإمكانه أن يسميها "أصوات المد" خاصة أن النوع الثاني يستغرق فترة زمنية ضعف النوع الأول، وهي سمة جوهرية تنبه إليها القدامى فسموها بأصوات المد، خاصة أن الألف والواو والياء الساكنة المسبوقة بحركة من جنسها، تستغرق مدة زمنية أكبر، والسؤال لماذا اختار هذين المكافئين وترك فروقا أخرى؟ على الرغم من أن الباحثين ذهبوا مذاهب أخرى خلافا للأنطاكي، وعلة هذا لا يمكن أن أرجح رأيا واحدا وأترك رؤى كثيرة، وهي رؤية الجمهور من العلماء. كما أنه مما أورد الأنطاكي في تصنيفه للأصوات اللغوية حسب عنوانه، فقال: التصنيف الأساسي المتبع للأصوات اللغوية هو قسمتها إلى أصوات طليقة وأصوات حبيسة(١).

وقد أورد كمال بشر عددا من التقسيمات(٢)، ونحن وإن كنا لا ننكر عليه أنه التصنيف الرئيس، فإنه من ناحية أخرى ليس التصنيف الوحيد، وقد أورد ابن جني قديما عددا من التصنيفات للحروف(٣)، وكذلك فعل ماريوباي(٤) والشيخ الجليل(٥).

(١) السابق: الموضع ذاته.
(٢) كمال بشر: علم الأصوات، ص ١٤٩ وما بعدها.
(٣) ابن جني: سرصناعة الإعراب ١/ ٤، وينظر تفصيلا موسعا للتقسيمات التي ذهب إليها ١ / ٦٠ وما بعدها، وهي تقسيمات يبدو فيها النقل عن السابقين، خاصة عن سيبويه في تعريف الجهر والهمس. قارن ذلك بما ورد لدي سيبويه، الكتاب ٤ / ٤٣١، ٤٣٦ على سبيل المثال. حيث تظهر مقارنة النصوص نقل ابن جني عن سيبويه الدرس الصوتي، وتحديدا في باب "الإدغام" دون روية.
(٤) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.
(٥) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ١٦٢.

وينبغي أن أشير إلى أني لا أعترض على فكر الأنطاكي بقدر الملاحظة على صوغ المكافئ المناسب، خاصة أنه عاد فذكر أن النوع الأول "الطليق" هو الصوت الذي يجري معه النفس طليقا لا يعترض طريقه عقبة؛ حتى يخرج من الفم. وأما الصوت الحبيس فهو الصوت الذي يحدث معه انسداد جزئي أو كلي في نقطة من نقاط القناة الصوتية(١). ونلحظ على هذا النص أن الأنطاكي سوى في التعريف الآخر بين الصوت المحبوس والصوت المسدود، مما هو ظاهر، وما يؤيد هذه الملاحظة أنه أعاد الفكرة ذاتها مباشرة، فقال: وفي كل صوت حبيس نقطة انسداد للقناة الصوتية(٢)، ويبدو أن الأنطاكي، كما هو ظاهر، سوَّى بين "الحبس، السد" على الرغم من أن الحبيس بمعنى المنع والإمساك، أما السد فهو الحجز بين شيئين، فإذا كان قد سوَّى بينهما، فالفرق واضح وظاهر، إذ السد هنا ليس حجزا أو فصلا بين شيئين، ومن ثم ليس متوفرا في هذه الحالة، ومن ثم فالتسوية تحتاج إلى إعادة نظر. وبناء على تسوية الأنطاكي إذا كانت صحيحة فيمكن أن نضيف إليها "موصدة"، على أساس أن الحبس شديد ومحكم.

أعود نزلة أخرى لأبين أن النص الذي أشار إليه يوحي أنه مجمل كلام الأنطاكي، وهذا ليس صحيحا؛ لأن الأنطاكي بعدما انتهى من رؤيته، أورد أن المحدثين من علماء الأصوات لهم رؤى مختلفة وعرض لها، وكلها لم ترق له، وأشير إليها فيما يرد من بيان.

فعرض لتسمية تمام حسان "الصحاح والعلل" والسعران "الصوامت والصوائت" والقصاص والدواخلي "السواكن والحركات" وأنيس "الأصوات الساكنة وأصوات اللين(٣). وكل هذه المقترحات لم ترق له؛ لأن: اقتراح الدكتور تمام يصلح في مقام الصرف لا في مقام الأصوات ... وأما تسمية الدكتور محمود السعران ففيها شيء من الغرابة والتناقض، إذ كيف يسمى الصوت ساكنا؟ وأما اصطلاح الدواخلي والقصاص ففيه التباس بين الساكن الذي لا تتلوه الحركة والساكن بمعنى Consonant ومثل هذا يقال في اصطلاح الدكتور إبراهيم أنيس(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة عددا من الملاحظ على ما أورده الأنطاكي حول رؤية العلماء، صحيح هي متعددة لكن دلالتها ظاهرة مستعلنة لمن أراد أن يتدبر أو أراد الوصول إلى الحقيقة، وإنا واجدون عددا من المصطلحات وليست المقترحات في التراث العربي، لأنها صارت راسخة ومعلومة. كما نلاحظ شيئين على ما أورده الأنطاكي، الأول: الكم الكبير في المصطلحات المستعملة، الثاني: التباين فيها، وظاهر وواضح أن التراث العربي ليس شيئا واحدا؛ بمعنى أنه بيئات مختلفة فهو ليس بيئة واحدة، إذ هنالك بيئة البلاغيين وبيئة المفسرين وبيئة اللغويين وبيئة

---

(١) الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ١٤، الأنطاكي: دراسات في فقه اللغة، ص ١٣٠.
(٢) السابق: الموضع ذاته.
(٣) الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص ١٤٦، الأنطاكي: دراسات في فقه اللغة، ص ١٣٠.
(٤) السابق: الموضع ذاته.

علماء الإعجاز القرآني وبيئة النحاة ،،، إلخ، ومن ثم فالتراث العربي متعدد الاتجاهات؛ بمعنى أن لكل بيئة لها مصطلحاتها الخاصة بها، ومن ثم فقد تعددت المصطلحات نظرا لتعدد البيئات المختلفة، وحين تعامل المحدثون من علماء الأصوات مع التراث، تعاملوا معه على أنه شيئ واحد، وهذا ليس صحيحا، ومن ثم وجدنا المصطلحات متنوعة، وقد أدى هذا التنوع إلى أن العلماء ذكر كل منهم مصطلحا أو مصطلحات وترك أخرى، ومن هنا تعددت المقترحات لتعدد البيئات في التراث العربي.

وقد أورد الأنطاكي تعليقا على اختيارات الباحثين، فذكر أن (تمام) اختار "الصحاح والعلل" وهو اختيار تراثي بالدرجة الأولى، لكنه اختيار الصرفيين، وهذا ما قاله الأنطاكي إنه يناسب الصرفيين، وكلامه صحيح، لكنه كان ينبغي عليه أن يعلم أن ليس لديهم من الزاد إلا التراث العربي وهو متشعب ومتعدد، أما اقترحات السعران والقصاص والدواخلي وأنيس فجميعهم يميل إلى النقل عن ابن جنى؛ بمعنى أنها قريب من قريب، وسأعرض فقط لما أورده السعران "الصوامت والصوائت" وهما صفتان من صفات الأصوات المقابلة، وليس فيها غرابة لو تدبرناها، فالصامت بمعنى الصوت المشكل بالسكون، وهو ضد الحركة، وهو في الوقت ذاته يقبل الحركات الثلاث "الفتحة، الضمة، الكسرة" وهي رؤية ابن جني في الأساس، كما يمكن أن ننظر إليها من زاوية أخرى، وهي أن الأصوات حسب بعض التقسيات تنقسم إلى نوعين حسب النطق، وهو التقسيم الأساسي حسب المخارج، وهو تقسيم مبني على فروق نوعية بين النوعين، منها أن النوع الثاني أكثر وضوحا في الكلام مقارنة بالنوع الآخر، وعلى هذا الأساس فالنوع الآخر أقل وضوحا مقارنة بالنوع الأول، وعلى هذا فلدينا نوعان، الأول أكثر وضوحا والثاني أقل وضوحا، ومن هنا كانت المقارنة بين النوعين عن طريق المقابلة "الصامت والصائت" وأشير إلى أني أعتبرهما مصطلحين، خلافا لرؤية الشيخ الجليل الذي سماها "كلمات لا مصطلحات" فيما أوردناه سلفا، وعندي أن الباحثين حين اختاروا هذين المصطلحين لم يكن اختيارا عشوائيا بل بعناية؛ لأنه اختيار ابن جني في "سر صناعة الإعراب" و"الخصائص" على نحو ما أشرت إليه في موضع آخر من هذا البحث.

وجدير بالذكر أن الأنطاكي استعمل "المحبس" بمعنى النقطة التي يحدث عندها الانسداد[١]، غير أن الذي لفت الانتباه أنه أورد في الصفحة ذاتها وتحديدا في الحاشية، فقال: وهذه تسمية أخرى نقترحها بدلا من كلمة "مخرج" التي اتفق عليها القدماء والمحدثون من اللغويين. وذلك لأن كلمة "مخرج" تدل كما يشير إلى ذلك اشتقاقها على المكان الذي يخرج منه النفس أو الصوت، لا على مكان الانحباس، وإذا كانت نقطة الانسداد ونقطة الخروج واحدة في كثير من الأصوات، فإنها ليست كذلك مع بعضها. ألا ترى أن نقطة الانسداد مع الميم هي الشفتان، وأن مخرج الميم من الأنف[٢].

(١) الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص ١٤٨.
(٢) السابق، ص ١٤٨: الحاشية.

وما يحتاج إلى معاودة النظر أن "المحبس" من اختياره، حسب وصفه، أطبق المحدثون والقدماء على السواء، وهذا رأي فيه نظر، إذ استعمل القدماء "المخرج" أمثال سيبويه، وتبعه في ذلك جل الباحثين في التراث العربي، بينما عاب المحدثون هذا الاستعمال، واستعملوا بدلا منه "الموضع" على ذلك النحو الذي أورده أحد الباحثين[١]، وهذه ملاحظة فيها مغايرة لما أورده الأنطاكي من ناحية ولما أورده أنيس وشادة الألماني من ناحية أخرى، كما أن ملحظا آخر يطل برأسه أن هنالك اتفاقا بين القدامى والمحدثين، وهذا أيضا يحتاج إلى إعادة نظر. وكلام الأنطاكي الأخير في بيان المفارقة بين المحبس والمخرج صحيح، لا مراء فيه، لكن أترك الحكم للباحثين في شيئين، الأول: هل كان ثمة اتفاق بين الباحثين قديما وحديثا حول استعمال المصطلح، الذي أورده الأنطاكي، الثاني: أنه استعمل كلمة "المحبس" كما هو ظاهر في النص لا المصطلح، وهذا أيضا يحتاج إلى مراجعة، الثالث: أنه يستعمل "كلمات" لا مصطلحات حسب تعبيره، خلافا لما هو متعارف عليه بين الباحثين.

كما يلاحظ أن الشيخ استعمل في الترجمة مصطلح "الأصوات الساكنة" في حالة الجمع، و"صوت ساكن" في حالة الإفراد طيلة الترجمة، كما أنه لم يشر إلى أصل هذا المكافئ المقترح من قريب أو بعيد، وهل هو من بنات أفكاره أم استقاه من التراث العربي؟ وهذه ملاحظة كان ينبغي عليه أن يتوقف أمامها بالكشف والبيان والإيضاح، خاصة أنه تعرض لقضية الترجمة في أكثر من مناسبة؛ فحين تناول في "عدد الألسنية" مجلة عالم الفكر، ١٩٨٩"، تعرض للحديث عن المصطلح Linguistics[٢] وكيفية تفضيله "الألسنية" على مقترحات أخرى أكثر رسوخا، كما أنه تعرض لهذا الأمر في النص الذي أوردته منذ قليل في كتاب "أسس علم اللغة"، فضلا عما سبق أنه مترجم، والمترجم يتعرض لهذه المشاكل حين المفاضلة بين تصورات عدة لمصطلحات غربية واختيار دقيق لما يناسبها من العربية. إن متابعة التراث العربي تشير وبوضوح إلى أن ابن جني صاحب اقتراح "الأصوات الساكنة"، ولم يشر إليه الشيخ ولا إبراهيم أنيس على ما تبدى في سياق سابق، وعلى ما هو ظاهر من خلال متابعة السفرين الجليلين، كما سيأتي تفصيله.

وهنا تجدر الإشارة، بناء على ما هو وارد في ص ٤٦، ٢٧٥، أن في المسرد موضعين ذكر فيهما ما سماه بالكلمات لا المصطلحات، حيث لا توجد مصطلحات، وأبدأ بالنص الأول الوارد في الحاشية[٣]، وقد أوردت النص سابقا، ومن ثم فلن أعيده نزلة أخرى اختصارا للمساحة المكانية، وأذكر عليه عددا من الملاحظ فيما نستقبله من تفصيل وبيان شارح.

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ١٠٧.
(٢) للشيخ بحث بعنوان" المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية"، فضّل فيه مصطلح "الألسنية" على مصطلح "علم اللغة" وأورد حيثيات كثيرة يؤمئذ، ينظر ص ص ٤ : ٢٤.
(٣) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٤٦ "الحاشية".

أولا: لم يشر الشيخ إلى أنه سيحدد المقترح الذي سيعتمد عليه في الترجمة وأسباب ذلك في إحدى الحواشي الأولية، وإن شئت الدقة كان ينبغي أن يصدِّر كتابه بمقدمة نقدية يطرح فيها الأفكار الخاصة بالترجمة واقتراح المكافئات المناسبة لها، على ذلك النحو الذي صنعه تمام حسان في ترجمته لكتاب "النص والخطاب والإجراء" لروبرت دي بوجراند.

ثانيا: ذكر أنه استعمل "علة، لين، صائت، طليق" بناء على ما أورده في الحاشية، وهو النص المنقول عن الوجيز للأنطاكي كما هو واضح، غير أني أضيف إليه مصطلحات أخرى لم يوردها صاحب "الوجيز في فقه اللغة": أصوات الجوف، حروف المد". ولم يشر إليها الشيخ تعليقا على نص الوجيز، وإن كان قد ذكرها في موضع آخر.

غير أن الذي كان عليه أن يفعله: لماذا كل هذه الكلمات؟ حسب تعبير الشيخ الجليل، في التراث العربي ولماذا أورد المحدثون من علماء الأصوات على أنها شيء واحد؟ ويبدو أنه يعود إلى علتين اثنتين:

الأولى: أن المحدثين من علماء الأصوات تعاملوا مع التراث العربي على أنه شيء واحد، وهذا ليس صحيحا ولا دقيقا، فالدراسة الصوتية توزعت في التراث العربي بين علماء اللغة "المعاجم" وعلماء البلاغة وعلماء النحو وعلماء الإعجاز القرآني وعلماء التفسير ... إلخ، وقد كان لكل فريق مصطلحاته الخاصة به، وحين تعامل علماء الأصوات معها، ذكروها على أنها شيء واحد، وهذا ليس صحيحا.

الثانية: أن هذه المصطلحات المتباينة في التراث العربي، كانت نتيجة اجتهاد هذا الفريق أو ذاك في كيفية صوغ هذا المصطلح أو ذاك، إذ نظر كل فريق إلى المصطلح من زاوية غير تلك التي نظر إليها الفريق الآخر، وقد أصاب كل منهم جانبا من الحقيقة في تسميته. إلا أن هذه الاستعمالات المتنوعة أدت إلى التباين، على الرغم من قيمة كل استعمال الذي لا يمكن التقليل منه بأية حال من الأحوال.

فإذا كان هنالك عصبة من الباحثين استعملوا أصوات صحيحة، ففي المقابل استعمل آخرون "أصوات علة" وفي هذا تدقيق في صياغة المكافئات المقترحة عن طريق المقابلات، فالصحيح يقابله العليل، ومن ثم يكون المتقابلان. ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى أن ثمة أسبابا خاصة جعلتهم يختارون هذين المقترحين دون سواهما من المصطلحات التراثية الأخرى منها، أن الأصوات الصحيحة في حالات الجزم تبقى شاهدة دون أن يحذف منها شيء، بينما "أصوات العلة، اللين" يتم حذفها والتخلص منها نتيجة ضعفها، أما أولئك الذين نظروا إلى "حروف المد"، فنظروا إلى أن هذه المجموعة من الأصوات تستغرق مدة زمنية أطول مقارنة بالأصوات الصحيحة[١].

---

(١) ينظر: ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٩.

غير أن الأمر في بدايته، كما هي الحال مع أنيس، كان الاستعمال "أصوات ساكنة"[1]، وإن كان هنالك من الباحثين من أشار إلى استعمالات جديدة قبل هذا بفترة من الزمن، على ما اقترحه مندور[2]، وأشرنا إليه فيما مضى، ولم يستعمل المقترحات التراثية التي كانت سائدة حينئذ، ويبدو أن اللغويين أمثال أنيس والسعران والشيخ كانوا متأثرين بشكل مباشر أو غير مباشر بما أورده ابن جني في "سر صناعة الإعراب"[3].

ولما كانت هنالك استعمالات عدة للتراثيين تعكس شيئا واحدا، فقد توجه المعاصرون من علماء الأصوات تلقاء استعمال "الأصوات الصامتة" في مقابل "الأصوات الصائتة" إلا أن هذا أخذ فترة من الزمن، وأن مرحلة الشيخ تمثل حلقة ضمن حلقات هذه الفترة التي أخذتها حتى استوت على سوقها. ويبدو أن العلماء قد استقروا على هذين الاقتراحين اللذين لم ينالا اهتمام أنيس على ما أبنا عنه، لكن اقتراح مندور وجد قبولا لدى المتأخرين من الباحثين، فهو قديم حديث في آن واحد، ولما كان الأمر كذلك فقد استقر الأمر بين المحدثين من علماء الأصوات على اقتراح "الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة"؛ لأنها لا تعكس ظلالا تراثية، كما هي الحال مع "الأصوات الساكنة"، كما أن فيها مقابلة بين المصطلحين تعكس جوانب مهمة ليست موجودة في المصطلحات التراثية، كما أن الاكتفاء بهما يوفر هذه المصطلحات التراثية للإفادة منها في سياقات أخرى، وهكذا نقتصر على مقترحين بدلا من المقترحات العديدة، وفي هذا تقليص لما هو مستعمل من جهة، وتوحيد استعمال هذه المقترحات من جهة أخرى.

وما يمكن قوله في هذا السياق، إن استعمال الشيخ ما هو إلا استعمال أنيس، مع مفارقات محدودة بينهما، أو بتعبير آخر إن فكر الشيخ في التعامل مع هذين المقترحين امتداد لفكر أنيس، خاصة أنهما ينتميان إلى مدرسة لغوية واحدة.

وإذا كان الشيخ أورد للمصطلح الأول عددا من المقترحات، وترك أخرى، فإنه أورد Consanantes الذي لم يستعمل منها إلا "أصوات ساكنة"، وعلى هذا لم أر له استعمالات للمقترحات الأخرى القريبة، وكان قد أورد مسردا للمصطلحات وذكر المواضع التي وردت فيها هذه المصطلحات، وحين عدت لهذه المواضع لم أجد شيئا مذكورا منها في ثنايا السفر، واللافت للنظر أن المسرد يكون خاصا بالمصطلحات وليس بالكلمات على ما أورده الشيخ أولا، ثم إن مسرد المصطلحات المستعملة ليست ما يمكن أن يتصوره أو يقترحه أو يقبله المصطلح الغربي ثانيا. على أية حال، هو لم يذكر المقصود، وإن كنت أرجح الأول.

---

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٢٨.

(٢) محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٤٢٩.

(٣) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١ /٢٧، استعمل ابن جني مصطلح "الأصوات الساكنة" الذي اعتمد عليه المحدثون من علماء الأصوات دون أن يشيروا إلى ذلك تصريحا أو تلميحا.

وأشير إلى مقترح مرجوح لديه، أشار إليه في معرض حديثه عن المكافئات المقترحة من قبل بعض الباحثين الذين أشار إلى أفعالهم دون أوصافهم فيما يتعلق بمصطلح Consanants، فذكر منها "حبيس" ولم أر له استعمالا عنده إلا في المسرد، ويبدو أنه نقله عن محمد الإنطاكي في الوجيز، على ما أشار إليه في سياق آخر(١)، فضلا عن أنه لم يستعمله كمقترح أساسي، بل جاء في معرض وصف "الأصوات الصامتة" بأنها ينحبس معها الهواء، خلافا لـــ "الأصوات الصائتة" التي وصفها بأنها "طليق"(٢).

ويبدو أنه نهج نهج أسلافه في صوغ المكافئ العربي، إن لم يكن قد نقله عنهم، فالصوت الصامت ينحبس معه الهواء، إلا أن الذي ينبغي أن نستظهره ونستوضحه أن هذا "الانحباس" ليس على إطلاقه، بل يحتاج إلى إبانة وتفصيل فيما نستقبله من حديث.

فالصوت الصامت ينماز من الصوت الصائت في أن الثاني ينماز بالانحباس، إلا أن "الانحباس" المشار إليه من قبل الشيخ مقترح عام، إذ هو ليس نوعا واحدا بل أنواعا، فالأصوات الصامتة، قد يكون الانحباس مع بعضها انحباسا تاما، كما في الباء والتاء والطاء والدال ... إلخ، وهو ما أطلق عليه المحدثون "الأصوات الانفجارية"(٣)، وتبقى سمة جوهرية تحتاج إلى إبانة شديدة؛ أن هذه النوعية من "الأصوات الانفجارية"، هي أن الأهمية الكبرى ليست في التقاء العضوين التقاء تاما، وهو ما يؤدي إلى انحباس الهواء انحباسا تاما؛ بمعنى أنه ليس كل التقاء تام لا بد أن يكون الصوت معه "انفجاريا"؛ لأن الميم تلتقي فيها الشفتان التقاء تاما محكما، ومع ذلك فهي صوت "مائع"(٤). إذن يبقى هنالك عنصر آخر هو الفيصل وهو مترتب على التقاء العضوين التقاء محكما، وهو أن انفصال العضوين يكون سريعا وفجأة.

وينبغي أن نشير إلى أنه ليس كل التقاء عضوين التقاء تاما يكون معه الانفصال سريعا، وهنا يتبدى أن القول الفصل في "الأصوات الانفجارية" ليس التقاء العضوين التقاء تاما بقدر الانفصال السريع، فكلما كان الانفصال سريعا كلما كان الانفجار قويا، خاصة أن أنيسا حين تناول وصف "الضاد" القديمة والحديثة، ذكر أن الفرق بينهما في "الشدة" حسب وصفه، فإذا كانت الضاد القديمة، حسب وصف القدماء لها أقل شدة، فإن الضاد الحديثة أكثر شدة(٥)، وبناء عليه فإن الفارق بينهما في سرعة انفصال العضوين في الحديث، مما يؤدي إلى الانفجار الشديد، وبطء الانفصال في الضاد

(١) ينظر: ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٤٦: الحاشية.
(٢) من الملاحظ أن هذه "الكلمات لا المصطلحات" حسب وصفه، أشار إليها في ثنايا التحليل، ينظر مقترح "طليق": أسس علم اللغة، ص ٧٩. ويبدو أن الشيخ لم يشأ أن يقدم تعليقا على نص الأنطاكي في حينه؛ على أساس أن هذه المقترحات سيتعرض إليها ماريوباي في أثناء التحليل، ومن هنا تركها حتى لا يكون هنالك تكرار.
(٣) استخدم القدماء مصطلح "الشديد".
(٤) استعمل القدماء مصطلح "الحروف البينة أو المتوسطة".
(٥) ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٤٩.

القديمة يؤدي إلى ضعف الانفجار، وعلى الرغم من هذا، إلا أن أحدا لم يقل إن الضاد القديمة ليست "انفجارية"، وعلى هذا يمكن اعتبار التقاء العضوين التقاء تاما، ما هو إلا وسيلة لهذا الانفصال السريع، فشرط أساسي في الأصوات الانفجارية أن الانفصال لا بد أن يكون فجأة؛ لأنه لو حدث الالتقاء وكان الانفصال بطيئا، لا ينتمي إلى هذه النوعية كالميم مثلا، وعلى هذا فالمعوّل الرئيس ليس على الالتقاء التام، وإنما الالتقاء التام وسيلة مهمة لنتيجة حتمية، وهو حدوث الانفجار الذي سببه الانفصال السريع.

ولا يقتصر "الانحباس" على الأصوات الانفجارية فقط، إذ ثمة "أصوات احتكاكية" لضيق مما بين العضوين في موضع إنتاج الصوت. فضلا عن أن هذا الضيق متنوع، فكلما زاد الضيق بين الأعضاء زاد الصوت ارتفاعا، وهو ما أطلق عليه القدماء "صفيرا"(١)، وكلما اتسعت المسافة بين الأعضاء كلما خفت شدة الصوت، وهو ما أطلقوا عليه "الحفيف". كما أن هنالك نوعا من الأصوات لا يقع هذين الموقعين، وهو ما يسمى بالأصوات المائعة، فضلا عن أن هذا الانحباس التام أو الجزئي لا يقع في منطقة واحدة، بل في مناطق عدة من الشفتين أو طرف اللسان مع أصول الثنايا أو أقصى اللسان أو أقصى الحلق ... وبناء عليه، فإن تسمية الأصوات الانحباسية تحتاج إلى إبانة وتفصيل شديدين، وقد أشار إلى ذلك في موضع آخر(٢).

٦/١: دراسة تطبيقية لمصطلحي Consonants و Vowels في "أسس علم اللغة":

جعلت المعالجة في هذا المطلب في قسمين، القسم الأول يقترب من المعالجة كما في السفر الآخر أو يكاد، أما القسم الآخر، فهو ليس له نظير في معالجة السفر الآخر، ويبدو أن الأمر لا يعود إلى طبيعة الكتاب، إذ هو كتاب عام في اللسانيات، بقدر ما يكمن أن نعزوه إلى طبيعة المؤلف التي تميل إلى التدقيق والتقصي والتحري في بحث كل جزئية من جزئيات الكتاب، وإن كان كتابا عاما، كما هو ظاهر. ومن ثم، فالتباين يعزو إلى المؤلفَين المتباينين ثقافيا.

١/٦/١: المعالجة الأساسية:

وقع الاختيار على هذا السفر الذي ترجمه الشيخ منذ ما يناهز الثلاثين عاما، والترجمة عمل مضنٍ لا يقل أهمية عن التأليف، خاصة إذا كان من لساني في قيمة وقامة الشيخ؛ لأنه حينئذ سيتوقف أمام اختيارات عدة، كما لا بد أن لديه من الحيثيات التي تجعله مقترحا مرجوحا على غيره، وأعلم ولا ريب، أنه كان مدركا لهذا كله، وهو ما كان مدعاة إلى أن يعرض لاختيار المكافئات العربية المناسبة في أكثر من سياق، وهو ما يشير صراحة أو ضمنا إلى مدى معاناته، على الرغم مما قدمه السابقون له؛ أمثال تمام حسان وكمال بشر ومحمود السعران، وسبق هؤلاء

(١) استعمل المحدثون له مصطلح "الأصوات الاحتكاكية".
(٢) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ١٣٥ وما بعدها.

جميعا إبراهيم أنيس، غير الذي يبدو واضحا من خلال متابعة هذه المؤلفات، أن الشيخ الجليل أفاد من هؤلاء جميعا إفادة ظاهرة، غير أنه على الرغم من كل هذا جانبه الصواب في الصياغة أو في التعامل مع هذين المصطلحين، وهو ما نحاول استجلاءه في هذا البحث.

ويلفت النظر في نص الشيخ السابق، أنه استعمل "كلمات" لا "اصطلاحات"، حسب تعبيره، ومن ثم تبدو المشكلة ظاهرة مستعلنة منذ البداية في ذهنه، وعبر عنها بشكل سريع وخاطف، لكنها دالة دلالة تشير إلى المعاناة التي كان يكابدها، كما عايشها السعران وعبر عنها بشكل مباشر في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ اللسانيات في العالم العربي أكثر وضوحا مما هي لدى الشيخ الجليل؛ لأن السعران من الأوائل الذي عانوا اختيار هذا الأمر في البداية، فضلا عن أنه لم يكن لديه من الرصيد المصطلحي الذي يركن إليه، مما جعل المشكلة عصية وشاخصة عنده، وهو ما ليس موجودا لدى الأخير، صحيح هي موجودة لكنها ليست كما هي لدى الأول، وهذه الملاحظة هي التي جعلتني أتصور أنه أفاد من السابقين؛ لسببين، الأول: مقارنة النصوص، كما سيتبدى من خلال هذه القراءة، الثاني: من خلال مقارنة المصطلحات والنصوص في الكتابين.

أحاول بداية أن أقارن بين جانبين أساسيين في "أسسس علم اللغة"، وهما أن الشيخ سلك سبيلين متباينين، غير أنهما متكاملان في الوقت ذاته على ما يستبين في التحليل، الأول: تعامله مع المصطلح في ثنايا التحليل، الثاني: مسرد المصطلحات التي ذكرها فيه وذكر مواضعها في الكتاب، وعندي أن رؤية الشيخ تمثل طريقين، يحتاجان إلى إبانة وتوضيح تردان أدناه.

وأبدأ بقراءة هذين المحورين اللذين يدور حولهما هذان المصطلحان، وهما يجمعان رؤية الشيخ العامة، وأبدأ بالمحور الأول: وهو قراءة فيما أورده في مسرد الصطلحات في نهاية الكتاب، فقد أورد للمصطلح Consonants المقترحات الآتية: صوت ساكن "أو حبيس، أو صحيح، أو صامت" في الصفحات ٤٦،٥١، ٧٨[١]، وأما Vowels فقد اقترح له ما يلي: علة "لين، صائت، طليق" فقد ورد في الصفحات ٤٦، ٧٨[٢]. هذا هو اقتراحه العام الذي يحتاج إلى إبانة شديدة، نخصص لها المساحة المكانية فيما نستقبله من تحليل أدناه.

أود أن أسجل هنا ملحظين متكاملين في الوقت ذاته، الملحظ الأول: فيما يتعلق بكيفية التعامل مع المصطلحين، حيث أورد المقترح "صوت ساكن" ثم وضع مكافئات أخرى معادلة له، فذكر "حبيس، صحيح، صامت" وعلى الرغم من أنه سوَّى بينها كما هو ظاهر، غير أني ألحظ فروقا جوهرية من خلال صنيعه؛ لأنه يدل على أنها ليست سواء، وإلا لماذا وضع "صوت ساكن" قبل القوس ثم وضع داخله "حبيس، صحيح، صامت"؟ إن هذا يعني صراحة أو ضمنا، أنه لا يسوِّي بينها من حيث الرتبة الاصطلاحية، أو بتعبير آخر، أن "صوت ساكن" هو المقترح الأساسي وما

(١) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٢٧٥.
(٢) السابق، ص ٢٨٥.

دونه "حبيس، صحيح، صامت" يأتي في منزلة أدنى، وعلى هذا فإن منزلة المقترحين متدرجة، فالأساسي "صوت ساكن"، والثانوي "حبيس، صحيح، صامت"، وعلى فهي ليست سواء من حيث الأهمية، التي تبدو في ظاهرها واحدة.

وما يقال عن المصطلح Consonants ينطبق على المصطلح Vowels حيث تعامل معه بالطريقة ذاتها التي تعامل بها مع المصطلح الأول على الطريقة الواردة أعلاه. كما أن هنالك جوانب أخرى يمكن النظر إليها، وهي تؤكد الملاحظة الأولى. ومن ثم أنتقل إلى الملاحظة الأخرى لتدعيم الأولى.

الملحظ الثاني: تتبعت اقتراحات الشيخ لهذين المصطلحين في تلك الصفحات المشار إليها أعلاه، فلم أعثر له على استعمال "حبيس، صحيح، صامت"، وكذلك لم يستعمل "لين، صائت، طليق" في هذه الصفحات، واستعمل فقط "صوت ساكن، صوت علة" أو على صيغة الجمع "أصوات ساكنة، أصوات علة" وبناء عليه، فإن هذه الملاحظة تدعم الملاحظة السابقة وتؤكدها، وهكذا نصل إلى استعمال مقترحين أساسيين، وليس مجموعة من المقترحات، ويبدو أن هذه الفكرة؛ أعني استعمال هذين المقترحين كان قد سبقه إليها إبراهيم أنيس، لكنه كان مفارقا للشيخ من نواحٍ عدة منها:

الأولى: أنه أشار إلى عدد من المقترحات الأخرى كـ"الصوت الصامت والصائت" غير أن إبراهيم أنيس كان واضحا حين وضعها في الحاشية؛ لأن هذا يعني أنهما ليسا أساسيا بالنسبة له، وأنه لن يستعمله، وهو ما بقي عليه طيلة الكتاب، غير أنه استعمل مكافئات أخرى، على ما أشرت إليه في سياق آخر(١)، وكل هذا لم يفعله الشيخ الذي لم يستعمل المقترحات في ثنايا ترجمة الكتاب، وأشار إليها في معجم المصطلحات في نهاية الكتاب،حسب تعبيره، وهذا يوحي أنه استعملها من ناحية، كما يوحي أنها سواء من ناحية أخرى فيما أورده ماريوباي.

وتبدو ملاحظة جوهرية شاخصة في معالجة ماريوباي تتعلق بترجمة هذين المصطلحين بوجه من الوجوه في قوله "وفي طريق تيار الهواء إلى الفم والأنف، إن تذبذبت الأوتار الصوتية، ينتج ما يسمى بالصوت المجهور Voiced أو Sonant مثل الباء والميم، أما إذا ظلت الأوتار مفتوحة بدون ذبذبة، فإن الناتج يكون صوتا مهموسا أو صامتا Unvoiced أو Surd مثل ب، ف وإن التمييز بين أصوات اللغة سواء منها الأنفي أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت ودرجة إسماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج(٢).

ونحاول أن نربط ما ورد في النص بما أورده الشيخ في سياق آخر، فقد اقترح في حاشية ص٤٦ عددا من المقترحات للمصطلح الأول، وذكر منها "صامت"، ويقصد به الأصوات الصحيحة

(١) أشرف عبد البديع: نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، ص ١٤٢، ١٦٣.
(٢) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

"الصحاح" حسب تعبير تمام حسان[١]، في مقابل "الأصوات الصائتة أو العلة" على ما أوردنا، وهذا قول لاشية فيه، غير أن الذي يحتاج إلى إعادة نظر، أن يكون "الصوت الصامت" في موضع آخر، يعني المهموس، وهو الضعف أو الخفاء، على ما هو وارد في النص السابق، وربما يقول قائل: إن الشيخ إنما هو مترجم، غير أنه كان بإمكانه تقديم مقترح آخر، لا يوقعه في هذا الإشكال.

وإذا كان "أسس علم اللغة" سفرا في اللسانيات العامة، فقد نال المصطلحان الغربيان اهتماما مقبولا؛ خاصة أن التركيز ليس على مستوى لساني بعينه، بقدر ما هو مناقشة قضايا لسانية عامة، ومن هنا سنتوجه شطر مؤلَف آخر أكثر أصالة من الأول، وهو "دراسة الصوت اللغوي"، وقد ذكرت أنه أكثر أصالة من الأول لعلتين، الأولى: أنه من تأليف الشيخ، ومن ثم يحمل أفكاره، الثانية: أنه في الدراسة الصوتية، على ما يشير إليه العنوان، وبناء على هذا، يفترض أن ينال المصطلحان الغربيان عناية من حيث الصياغة، ومن حيث التفصيل لجوانب أحسب أنها لم تأخذ حظها من العناية والرعاية في السفر الأول.

١/٦/٢: المعالجة التفصيلية:

أورد ماريوباي مصطلحات أخرى ترتبط بهذين المصطلحين الغربيين، إذ لم يكتف بما أوردته من تفصيل، وإنما أورد عددا من المقترحات تتعلق بمصطلح Consonants على النحو الآتي:

Unvoiced و Voiced[٢] و Conant[٣]. فقد أورد لها مصطلحين "مهموس، صامت"، ولم يكتف الأمر بهذا، بل الأدهي والأمر أنه أشار في الموضع ذاته إلى مقاربة بين هذا المصطلح مع مصطلح Surd[٤]، وحين عدت إلى المصطلح الأخير وجدته سوّى بينهما، كذلك في قائمة المصطلحات، وهنا يبدو التداخل في المقترحات لمصطلح غربي واحد، إذ سوّى بين عدد من المصطلحات الغربية على نحو غير دقيق، أدى إلى أن ينتج عنهما عدد من المقترحات، وهذا أيضا يحتاج إلى إعادة نظر، خاصة أنه سوّى بين مقترحات ليست دقيقة، ويحتاج هذا التبيان إلى العودة إلى ثنايا التحليل في الكتاب، وسأركز على موضعين، الأول: المواضع التي أشار إليها في الحاشية، الثاني: المواضع الأخرى التي يمكن أن تكون كاشفة لمثل هذه المواضع، على ما يكمن أن نراه كاشفا، وهو ما نستقبله في المناقشة فيما يلي من حديث.

وأشير إلى الموضع الأول الذي أشرت إليه أعلاه، وأعني به مسرد المصطلحات، فقد أوردنا أعلاه، فقد سوى بين ثلاثة مصطلحات وهي: Consonants و Unvoiced و Surd، وهي

(١) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص ١١٣.
(٢) السابق، ص ٢٨٥.
(٣) السابق، ص ٢٨٣.
(٤) السابق، ص ٢٨٥.

تسوية تحتاج إلى إعادة نظر على ما أوردت أعلاه، كما نتج عن هذا أن جعل لها المقترحات الآتية: مهموس (أو صامت).

ونلاحظ على رؤية الشيخ ملحظين، الأول: أنه سوّى بين اقتراحين "مهموس، صامت"، لكن التسوية تحتاج إلى رجع البصر؛ إذ نلاحظ أنه جعل المقترح الأساسي، كما هو ظاهر، مهموس، ثم وضع بين قوسين هكذا (أو صامت)، وهذا يدل على شيئين، أن المقترح الأول أساسي، والآخر: فرعي "صامت"، والثاني: وهو يدل على أنه فرعي، وهو ما يؤكد الملاحظة الأولى السابقة، أنه وضعه بين قوسين، وهذا يدل على أنه غير أساسي، أو يمكن الاستغناء عنه، بدليل أنه وضعه بين قوسين من جهة، كما أنه أضاف إلى ما بين القوسين "أو" التي تدل على التخيير، فضلا عن الشعور بعدم الأهمية أو أنها تأتي في مرتبة أدنى من حيث درجة التلقي المصطلحي. والثاني: أن تسوية الشيخ تحتاج إلى إعادة نظر، خاصة أن المقترحين متباينان لدى أهل الاختصاص، وليسا بمعنى واحد، خاصة أن مقترح "صامت" يدل على النوع الآخر الذي يقابل "صائت"، وهي صفة تميز هذه النوعية ضمن صفات أخرى، على ما أوردنا في موضع آخر من البحث، بالإضافة إلى أن المقترحين متباينان كما يلي.

فـــ "الهمس" يحدث أولا في الحنجرة؛ بمعنى أنه صفة ترتبط بموضع، خلافا للصامت الذي يدل على النوع الآخر، لكنه صفة غير مرتبطة بموضع، ليس كما في الصفة الأولى، كما أن مقترح "الصامت" يرتبط بما عدا الأصوات الصائتة؛ أي يرتبط بنوع أو فئة من الأصوات، خلافا للنوع الأول، وما يمكن قوله إن علماء الأصوات قسموا الأصوات عدة تقسيمات منها الجهر والهمس والصامت والصائت، كما أن مقترح "الصامت" حمل معاني عدة قديما وحديثا. كانت هذه الملاحظات الأولية فيما يتعلق باقتراحات الشيخ على هذين المقترحين. أما الشق الآخر الذي سيقدم لنا تفسيرا مضيئا، هي المواضع التي أشار إليها في مسرد المصطلحات، وأتناولها فيما يلي من حديث.

Consonants و Unvoicedو Surd أورد الشيخ هذه المصطلحات في مسرد المصطلحات حسب تعبيره، لكن شيئا نفث في نفسي أنه على ما أوردنا في حاشية ص ٤٦، أنه سماها بالكلمات لا بالمصطلحات، وهذه ملاحظة تحتاج إلى وقفة وتأمل .

أورد الشيخ أن هذه المصطلحات وردت في الصفحات الآتية: ٤٦، ٧٨[١]. إن هذا الارتباط بين هذه المقترحات على النحو المشار إليه من قبل الشيخ، يدل على العلاقة القائمة بينها، وسنرجع لها في ثنايا التحليل لبيانها، فضلا عن مشتقاتهما، مسوّيا بينهما في المكافئ المقترح، وأنا أبين هذا وأفسره فيما يلي من تفسير والتسوية ظاهرة بين المصطلحين لديه، وهذا يحتاج إلى إعادة قراءة من

(١) ينظر: أسس علم اللغة، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

جهة، كما أنه يضيف مقترحا جديدا إلى المقترحات الأربعة التي اقترحها بزيادة "مجهور" وبمتابعة ثنايا السفر، وجدت ما يحتاج تفصيله إلى بيان.

فحين عدت إلى تلك الصفحات التي أوردها المترجم في سياق الحديث عن المصطلح الغربي Voiced تناول تقسيم الأصوات إلى أصوات علة Vowels وأشباه أصوات العلة Semivowels وسواكن Consonantes في أقسام وأوصاف أخرى مثل: انفجاري Plosive، واحتكاكي Fricative وجانبي Lateral، وأنفي Nasel، ومجهور Voiced، ومهموس Unvoiced(١).

وثمة ملاحظة على قدر من الأهمية تطل برأسها في النص الآتي: "وفي طريق تيار الهواء إلى الفم والأنف، إن تذبذبت الأوتار الصوتية، ينتج ما يسمى بالصوت المجهور Voiced أو Sonant مثل الباء والميم، أما إذا ظلت الأوتار مفتوحة بدون ذبذبة، فإن الناتج يكون صوتا مهموسا أو صامتا Unvoiced أو Surd مثل ب، ف، وإن التمييز بين أصوات اللغة سواء منها الأنفي أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت ودرجة إسماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج(٢).

وفي النص الثاني ما يحتاج إلى بيان؛ فقد سوّى بين مقترحين عربيين "مهموس، صامت" وهذا تقسيم لم يعتد عليه الباحثون، فالمهموس يقابله مجهور، والصامت يقابله صائت، وهما تقسيمان متباينان؛ إذ الأول تقسيم متعلق بالهمس والجهر في الحنجرة، والحنجرة يمكن اعتبارها عضوا ليس مباشرا، على أساس أنها ليست موضعا لنطق بعض الأصوات اللغوية؛ لأن الأصوات مواضع خروجها إما من الأنف والفم، كما هي الحال مع الميم والنون، أو من الفم فقط، كما هي الحال مع بقية الأصوات.

والصامت والصائت تقسيم آخر؛ لكن التقسيم الأول مكاني، إن صح التعبير، في حين أن الصامت والصائت تقسيم وصفي، وشتان ما بين التقسيمين، أقول ومن ثم، لا يمكن اعتبار المهموس هو الصامت؛ لأن الهمس هو عدم اهتزاز الوترين الصوتيين؛ نتيجة اتساع فتحة المزمار، الذي يؤدي إلى اتساع بين الوترين الصوتيين، كما أن الهواء الخارج من الرئتين هواء ضعيف، ومن ثم يخرج الهواء دون أن يهتز معها الوتران الصوتيان، وهذا ما يحدث عكسه مع الأصوات المجهورة التي يضيق معها فتحة المزمار، فيؤدي إلى ضيق ما بين الوترين الصوتيين، كما أن الهواء الخارج من الرئتين معه يكون قويا، فيهتز معه الوتران الصوتيان(٣). أما "الصامت والصائت" فصفتان من صفات عدة تشترك فيها الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، وشتان ما بين التقسيمين، ومن ثم لا يمكن اعتبار المقترحين مقترحا واحدا، وهذا ليس صحيحا، إذ الخلاف بين الاثنين واضح وظاهر، فكيف يكون يسوّي بين مقترحين لا علاقة بينهما على النحو المبين أعلاه؟!

---

(١) السابق، ص ٤٦.
(٢) السابق، ص ٧٨.
(٣) أشار ماريوباي إلى شيء من هذا القبيل، غير أن الصياغة تحتاج إلى إعادة نظر في ضوء ما ورد هنالك، ينظر: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

ثم أن الباحثين مجموعون على ألا علاقة بينهما، فكيف يسوّي بينهما؟! ربما يقول قائل إن ثمة علاقة وشائج قربى بين المقترحين لدى الشيخ، وهي أن الهمس هو الخفاء لغة، كما أن الصامت يعطي المعنى ذاته، ومن ثم سوّى بينهما، ويظل الأمر لدى الباحثين مختلف، خاصة أنهم مجمعون على تباين المصطلحين، وهذا أمر ثابت بيقين

وقد نقلت هذين النص على طولهما من موضعين مختلفين وهما لماريوباي، لكن خيطا دقيقا يربط بينهما، فيما يتعلق بما قدمه الشيخ من اقتراحات تتعلق بهذين المقترحين، وأول ما يلفت النظر أنه استعمل في النص الأول "سواكن" كمقترح ولم يستعمل "صامت"، وهذا يؤكد ما أوردته من ملاحظ في سياق سابق، كما يلفت النظر في النص الأول أن ماريوباي أورد تقسيمات متباينة، وهذا ما ترجمه الشيخ، وهو على بينة منه، وهذا ما دعاني سلفا إلى أن أذكر لماذا اختار الشيخ تقسيما وترك تقسيمات أخرى؟ إن هذا لا يدعي أن هناك توازانا، فإذا كان الشيخ الجليل اختار مقترحا، فقد ترك مقترحات أخرى، ولم يبين السر وراء ذلك، وهو على علم بهذه التقسيمات، كما يعكسها النص السابق.

أوردت النص كاملا ليستبين موقع المقترح "مجهور" من الأوصاف الأخرى، وهذا المقترح يحتاج إلى إعادة نظر من وجوه منها، صحيح "الجهر" بمعنى الظهور والقوة والوضوح مقارنة بالأصوات الأخرى الصامتة، لكنه ليس المقصود بما عناه الشيخ بـــ Consonantes لعدة أسباب، منها أن السياق سياق مقارنة بين الجهر والهمس، فالمعنى واضح، لا لبس فيه، وما يزيد الأمر وضوحا وتأكيدا أن "الجهر والهمس" يحدثان في الحنجرة، أما Consonantes فتحدث في الفم، وشتان ما بين صفتين، تحدث إحداهما في الفم والأخرى في الحنجرة، فضلا عما سبق، فإن الكاتب أورد تقسيم الأصوات من حيث مخرج الأصوات، فذكر أنها ثلاثة "أصوات علة وأشباه أصوات علة وسواكن" وهو تقسيم دقيق مبني على اعتبارات دقيقة، ثم انتقل في النص السابق، ليذكر صفات أخرى على ما هو وارد، والسؤال: لو كانت Consonantes و Voiced بمعنى واحد لكان هنالك تكرار في سطرين أو في سطور متقاربة، وهذا أمر يستبعد مع الشيخ، فضلا عن ماريوباي، إذن يتوجه الرأي شطر أن المصطلحين الغربيين ليسا بمعنى واحد، وأن لبسًا حدث أدى إلى هذا بشكل مباشر أو غير مباشر.

إذن، ما أورده الشيخ حين سوّى بين هذه المكافئات التي بلغت "خمسة، أربعة" أولا، ثم المصطلح الأخير "المجهور" يحتاج إلى وقفة متأنية، ولم يكتف عند هذا الأمر، بل سوّى بين Consonantes و Surd في مواضع عدة من الترجمة، وهي تسوية غير دقيقة؛ لأن الأول شاع استعماله بين المتخصصين، ومن ثم استعمال الثاني بمعنى الأول لا مجال له هنا. وعلى هذا يحتاج إلى إعادة نظر.

كما أنه يسوِّى بين مصطلحين غربيين ليسا على درجة واحدة من الترقي المصطلحي، ولو كانا بمعنى واحد، لما ذكر مؤلِف الكتاب مصطلحين بمعنى واحد؟ إذ لو كانا بمعنى واحد أو قريب، فسيعد تكرارا ممقوتا، وأحسب أن هذا الأمر لا يخفى على ماريوباي. وعلى هذا، فالإشكالية تتمحور في صياغة الشيخ للترجمة، وهو بيت القصيد ولب الموضوع.

إذن لدى الشيخ الجليل صامتان Consonantes و Surd ثم أضاف في سياق ثالث Voiced، وهي تسوية توحي بعدم التدقيق من ناحية، والبلبلة من ناحية أخرى في انتقاء المكافئ، وهو ما بدا واضحا في الترجمة في أثناء الكتاب وفي مسرد المصطلحات، ولا يمكن أبدا أن نرجع هذا المقترحات إلى ماريوباي، وإلا سنكون نحمِّل الأمور أكثر مما تطيق، ولا يمكن أن يكون ذكرها على أنها شيء واحد، كما ترجمها الشيخ.

ويمكن أن أنظر إلى هذه المقترحات من ناحية أخرى، خاصة أن ماريوباي استعمل عددا من المصطلحات الغربية للتعبير عما عبر عنه بالصوت الساكن؛ إذ قدم لها مصطلحين، إن صح التعبير، أحدهما أساسي "ساكن" والآخر ثانوي "صامت"، وإن أردت غاية في الدقة، فقد استعمل مقترحا واحدا حين التعامل مع هذه المصطلحات وهو "الساكن"؛ لأنا وجدناه مستعملا إياه على طول خط الترجمة، ومن ثم فإذا كان المؤلف استعمل عددا من المصطلحات، فإن الشيخ حاول أن يقلص كل هذا إلى مقترح واحد في ثنايا الترجمة.

وعلى هذا يمكن أن تحسب للشيخ من نواح منها، الأولى: أنه قلص استعمال عدد من المقترحات إلى ما أوردناه أعلاه، أساسي وثانوي، وهذه ميزة تحسب له وتقوي اقترحاته، كما أنه قلص المصطلحات التي استعملها ماريوباي من حيث العدد، فإذا كان المؤلف استعمل عددا من المصطلحات التي يمكن أن تؤدي الغرض، إلا أنها ليس على درجة واحدة من الشيوع والانتشار، إذن اتفق المحدثون على مصطلح واحد، وقد أورد لها المؤلف عددا من المصطلحات غير شائعة بين الباحثين، ومن هنا يمكننا أن نقول إن ماريوباي استعمل كلمات لا مصطلحات، حسب تعبير الشيخ، ومن هنا لم يستعمل ما هو أكثر شيوعا؛ بمعنى لم يقتصر في استعماله على مصطلح واحد، وإنما استعمل مصطلحا واحدا وكلمتين أخريين، بتعبير دقيق؛ لأنها لم تتحول منذ أن كتب سفره ولن تتحول؛ لأن العلماء مطبقون فيما بينهم على أن مصطلح Consnsntes هو الذي يؤدي الغرض، ومن ثم فإن الإشكالية ليست مع المترجم، بل مع الكاتب، فقد حاول المترجم أن يتجاوز ما وقع فيه الكاتب على ما يبدو، ويقدم له اقتراحا واحدا على ما رأينا أعلاه. يقول ماريوباي في هذا الشأن: وفي طريق تيار الهواء إلى الفم أو الأنف إن تذبذبت الأوتار الصوتية، ينتج ما يسمى بالصوت المجهور Consonantes أو sonant مثل الباء والميم. أما إذا ظلت الأوتار مفتوحة بدون ذبذبة، فإن الناتج يكون صوتا مهموسا أو صامتا Unvoiced أو surd مثل ي، ف[١].

---

(١) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

لكن الترجمة بهذه الطريقة تثير الكوامن، خاصة أن الشيخ ترجم Consonantes بـــ "الصوت المجهور" وبـــ"السواكن" كاقتراح أساسي، و"صامت" كمقترح ثانوي لهذا المصطلح في حشايا التحليل من ناحية ثانية، وأضاف مقترحات في مسرد المصطلحات من ناحية ثالثة. كما أن ترجمة Consonantes بـــ"الصوت المجهور" فيه نظر، خاصة أن المعنى غير مستقيم من وجوه، وأنا أستظهره على النحو الآتي.

فإذا كان القصد اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة، فكان عليه أن يستخدم مقترحا آخر خلافا لما هو مستعمل؛ لأنه قدم مقترحا له في موضع آخر. إذن المشكلة تكمن في التدقيق في اختيار المقترح المقدم؛ لأن المعنى غير مستقيم في عبارة الشيخ الجليل، وإذا قبلنا استقامة العبارة الأولى "خلافا لترجمة المصطلح"، فإن المعنى يشوبه بعض الغموض؛ لأن الوترين الصوتيين يهتزان مع الأصوات المجهورة، وهذا لا خلاف فيه، إنما الخلاف يكمن في أنه استعمل "أو" التي تفيد "التخيير" بعد مصطلح Consonantes، وذكر مصطلح Sonant ومعناه "الصوت أو الحرف"، وبناء على هذه الصياغة تكون العبارة، أن اهتزاز الوترين الصوتيين ينتج عنهما "الصوت المجهور" وهذا صحيح، لكن ليس بالضرورة أن ينتج عن اهتزاز الوتريين الصوتيين "حرفا، صوتا"، خاصة أن الأصوات المهموسة لا يهتز معها الوتران الصوتيان، ولم يقل أحد إنها ليست أصوات. بالإضافة إلى أن الهمزة يصفها المحدثون من علماء الأصوات بالصوت الذي لا بالمهموس ولا بالمجهور، ولم يقل أحد إنها ليست صوتا، فماذا عسى الشيخ الجليل أن يقول في هذا؟ أما المصطلح surd فقد توقفت معه فيما ورد أعلاه، بما لا يحتاج أن أعيده نزلة أخرى.

وثمة ملاحظة أخيرة أني في بحث سابق، قسمت الدراسات اللسانية العربية إلى مراحل فيما يتعلق بدراسة المصطلحات، وقد جعلت يومئذ الشيخ ضمن المرحلة الثالثة[١]، وكل مرحلة لها ما يميزها من غيرها من المراحل السابقة واللاحقة من حيث الصياغة والتدقيق، كما هو ملاحظ ثمة، كما أن أحد الباحثين يبدو أنه أفاد مما لدى السابقين له في صوغ المكافئات الدقيقة، إذ اقترح Consnantes صامتا، وللثاني Vowels حركات[٢]، ويلاحظ أنه اختصر وأوجز ما هو موجود لدى الشيخ، فقد قدم الشيخ مقترحين اثنين، الأول مباشر "الساكن" والثانوي "الصامت"، ثم أضاف في ثنايا التحليل "الوقفيات"، لكنه يأتي في مرتبة أقل مقارنة بالأول والثاني. على أية حال، يمكن استخلاص أنه استعمل ثلاثة مقترحات، لكنها لم تكن على درجة واحدة من الترقي المصطلحي، إلا أن محمد فتيح الذي ينتمي إلى إلى جيل المرحلة الأخيرة، أو بتعبير آخر، هو من تلاميذ الشيخ، يبدو أنه أفاد مما ورد قبله، فقلص العدد الموجود لدى الشيخ، فاقترح للأول "صامت" وللثاني "الحركات"، وهو اقتراح يحتاج إلى قراءة في ضوء ما رد لدى الشيخ، وإن شئت الدقة، فهو يحتاج إلى قراءة وربطه بما قبله وبعده.

(١) أشرف عبد البديع: طرائق نقل المصطلح اللساني في المؤلفات العربية، ص ٢٧.
(٢) ديفيد إبركومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص ٦١، ٣٥٢، ٣٦٦.

١/٧: دراسة تطبيقية لمصطلحي Consonants و Vowels في "دراسة الصوت اللغوي":

ستكون طريقة المعالجة في هذا السفر كما هي الحال مع السفر الأول، وإن كانت طبيعة المعالجة في السفرين هي التي ستفرض القضايا الأساسية التي يمكن أن تميز بينهما، وهو ما أشرت إليه أعلاه في إيجاز غير مخل.

وإذا كانت طبيعة المعالجة متمايزة في المادة، فإن هذا سيؤدي لا محالة، إلى التمايز في التعامل معهما، على ما سيرد أناده بفضل بيان. ويمكن أن أوجز المواضع التي يمكن الإلمام بها في الكتاب يعطي تصورا معقولا ومعالجة وافية لهذين المصطلحين الغربيين على النحو الآتي.

الأول: مسرد المصطلحات الصوتية في نهاية الكتاب، الثاني: مواضع المعالجة لهما في ثنايا التحليل، والذي يبدو أن مواضع التحليل مفارقة لما ورد في السفر الأول، لما أوردته أعلاه من أسباب، وأحاول تبيان الموضعين ببيان وافٍ فيما نستقبله بفضل بيان.

المعالجة الأولى الخاصة بمسرد المصطلحات: أورد الشيخ للمصطلح الأول Consonants مكافئين مقترحين من قبله "ساكن، صامت"[١]، ويبدو أن هذا السفر جاء تأليفه بعد ترجمة "أسس علم اللغة" والذي لفت انتباهي إلى هذه الملاحظة أنه هنالك استعمل أربعة مقترحات "ساكن، صامت، صحيح، حبيس"[٢]، وهذا يشير بشكل مباشر أو ضمني إلى تعدد المقترحات للمصطلح الغربي، وهذا يعني عدم وضوح الرؤية، وإن أشار إلى القضية على ما أوردناه حين مناقشة السفر الأول، أو أنه على الرغم من وضوح الرؤية عنده فيما يتعلق بهذين المصطلحين، إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من هذا الحشد الهائل من المقترحات، التي بدت ظاهرة مستعلنة في السفر الأول، غير أنه تقلص في السفر الثاني إلى النصف تقريبا، وهذا يعني صراحة أو ضمنا؛ أنه حاول أن يتلافى ما فاته فيما يتعلق بصوغ مكافئ عربي دقيق، فتم التخلص من مكافئين في هذا الكتاب "صحيح، حبيس" وهما عندي في مرتبة أدنى في درجة التلقي المصطلحي مقارنة بالمكافئين "ساكن، صامت" اللذين أوردهما وأصرَّ على استعمالهما معا على ما هو بادٍ.

كنت قد أوردت أن مقترح "ساكن" عند الشيخ أولى، وفي صدارة مقترحاته في سفره الأول، وأدليت بدلوي ثمة أعلاه، وهنا يبدو ظاهرا ما كان خافيا في السفر الأول، إلا أنه هنالك تردد إزاء طريقتين، الأساسي "صوت ساكن"، والفرعي "حبيس، صحيح، صامت" وذكرت أن "صوت ساكن" أساسي عنده على ما بدا واضحا، وهنا بدا لي ما خلته صحيحا، جاء على نحو دقيق من الصحة، غير أنه أورد شيئا ليس موجودا في السفر الأول، حيث قرن مقترح "صوت ساكن" بمقترح آخر أقل أهمية في سفره الأول على ما بدا وأوردته ثمة "صوت صامت"، وهي تسوية تحتاج إلى التوقف أمامها لتأمل التعامل معها على نحو دقيق. وعلى هدي من هذا، فقد سوّى بين مقترحين اثنين

---

(١) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٤١٤.
(٢) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٢٧٥.

"صوت ساكن، صوت صامت" في مسرد المصطلحات، وقد ذكر المواضع التي ورد فيها المقترحان في الصفحات: ١٢٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٩٦، ٣١٣"[١]، وحين عدت إلى هذه الصفحات وجدت عجبا عاجبا.

فقد تتبعت هذه المواضع لديه في سفره، فلم أجده استعمل من هذه المقترحات الواردة في مسرد المصطلحات إلا "أصوات ساكنة" في حالة الجمع، أو "صوت ساكن" في حالة الإفراد في كل هذه المواضع بشكل عام، وهي صفة غالبة، على الرغم من تسويته بين الحالتين في مسرد المصطلحات، وهو الصنيع ذاته الذي قام به في سفره الأول الذي ترجمه، وهو ما يؤدي الغموض، كما لم يذكر مقترح "صامت" إلا في موضع واحد[٢]، وكذلك أورد Vowels في الصفحات: ١٢٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ٣٠٠"[٣]، وتكاد هي الصفحات التي ذكر فيها المصطلح الأول، مما يشير بجلاء إلى ارتباط المقترحين ببعضهما، على ما أوردت سلفا.

أعود فأشير إلى أن الشيخ أورد مقترحين للمصطلح الأول، وقال إنه يمكن تقسيم الأصوات على أساس من نوع النطق إلى تقسيمين هما:

١ ـــ العلل Vowels أو الصوائت.

٢ ـــ السواكن Consonants أو الصوامت[٤].

يلاحظ أن الشيخ ذكر مقترحين لكل مصطلح غربي على ما هو وارد في نصه، غير أن ملحظا أساسيا يعالن في صراحة تامة، يتفرع إلى ملاحظ عدة، وهي على قدر من الأهمية فيما يتعلق باقتراحه لهما، الأول: طريقة صياغة الأفكار وأعني بها أنه ذكر مقترح "العلل" كمكافئ للمصطلح الغربي Vowels ثم ذكر "أو الصوائت" وهذا يعني صراحة أو ضمنا أن المقترحين ليسا سواء من حيث درجة التلقي المصطلحي؛ لأنه وضع المصطلح الأساسي أولا، ثم ذكر المصطلح الغربي، وبعدما انتهى، يبدو أنه وجد أنه من الأجدر أن يذكر مقترحا آخر درج علماء الأصوات على استعماله؛ بدليل أنه لو لم يذكر المقترح الأخير "الصوائت" ما اختل المعنى أولا، وما آخذه أحد على الصياغة ثانيا، لكن كل هذا يعني صراحة أو ضمنا أن المقترحين ليسا سواء، وما يقال عن المصطلح الأول يقال عن المصطلح الآخر.

وهكذا قدم اقتراحين أساسيين "السواكن والعلل" وإن لم يذكر هذا صراحة، وجعل المقترحين الآخرين "الصوامت والصوائت" في مرتبة أدني، واستعملها دون أن يشير إلى هذا، كما يشير إلى ذلك عدم استعماله لها في ثنايا التحليل على ما تظهره الصفحات التي أوردها في مسرد المصطلحات في كلا السفرين، والذي يبدو أن الشيخ استعمل المقترحين استعمالا يبدو طبيعيا، ومن

---

(١) أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ص ٤١٤.
(٢) السابق، ص ٤١٦.
(٣) السابق، ص ٤٣٦.
(٤) السابق، ص ١٣٦.

ثم، فقد خطى باستعمال "الصوامت والصوائت" خطوات أبعد، وكان محمد مندور قد اقترحهما حين ترجم بحث أنطوان ماييه "علم اللسان"[١]، وهو من الأوائل الذين اقترحوا هاتين الصيغتين حديثا، إن لم يكن هو الأول[٢]، غير أن اقتراحه على الرغم أنه ليس من أولي الاختصاص، إلا أنه شاع وانتشر بين اللسانيين أنفسهم.

وهنا ملحظ على قدر من الأهمية لا بد من التنويه إليه، فيما يتعلق بمصطلح "الصوائت"، فقد ورد استعماله لدى ابن ابن جني فقال: فالصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا، فهو صائت، وصوّت تصوتيا، فهو مصوِّت، وهو عام غير مختص[٣].

وقد نبهني إلى صياغة هذا المقترح من قبل مندور، أن بشرا أورد تفصيلا في إحدى الحواشي يقول فيه: وتسمية الحركات تسمية مقبولة وهي جيدة، وإن كان من الجائز تسميتها بالصائتة والمصوتة، وقد آثرنا هنا استعمال مصطلح "حركات" ومفرده "حركة" لشهرته الواسعة ووضوح مدلوله، ومن الجدير بالذكر أن هناك من علماء العربية القدامى من جروا على استعمال المصطلحين "صائت ومصوت" وما تفرع عنهما في بحوثهم، فهذا ابن جني مثلا يسمي الحركات الطويلة بالمصوتات أو الحروف المصوتة[٤]. غير أني لم ألحظ ذكرا لمصطلح "الصائت" في النص الذي أورده بشر، وإن كان لا يفرق بين "صائت ومصوِّت" في النص، ويرجع الفارق إلى أصول الكلمات[٥]، غير أنه من الواضح أنه لم يستعمل إلا "مصوِّت" في نص الخصائص، وحسبي من تبريز أن ما توصل إليه بشر من الجمع بين المصطلحين، أنه لا يفرق بينهما إلا الأصول، هو صحيح بدليل أنه جمع بينهما في نص "سر صناعة الإعراب" السابق.

وجدير بالذكر أن أنيسا في تلك الحقبة المبكرة وتحديدا في تلك الفترة التي قدم فيها مندور اقتراحه، لم يرق له ولم يستعمله نهائيا في "الأصوات اللغوية" إلا في تلك الإشارة التي أشار إليه فيها في الحاشية[٦]، وهنا يبدو أن إشارة أنيس لاقتراح مندور في الحاشية لها دلالتها، خاصة أنه لم يشر إلى من هؤلاء الذين استعملوا أو اقترحوا هذا الاقتراح، وأشار إليهم باستخدام فعل مبني للمجهول! فضلا عن وضعه المقترح في الحاشية، كما أنه قدم اقتراحين أساسيين في المتن

---

(١) ينظر محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٤٣٠.

(٢) ليس غرضي هنا أن أعرض للمؤلفات اللسانية العربية الأخرى التي تناولت هذين المصطلحين، فقد أورد د. السعران أن القصاص والدواخلي من ناحية ود. علي عبد الواحد وافي اضطربوا في صياغة المكافئ العربي لهذين المصطلحين، ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، حاشية، ص ٣٤، ٣٥ ، على أنه تجدر الإشارة إلى أن هذين المؤلفين يحتاجان إلى قراءة لهذين المصطلحين، أرجو أن أفرغ لهما في قابل الأيام.

(٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١ / ٩، ١٠.

(٤) كمال بشر: علم الأصوات، ص ١٤٩ "الحاشية". ويلفت النظر أن أحد الباحثين نقل كلام بشر الوارد في المتن دون أن يشير إليه، ويكاد يكون النقل حرفيا، ينظر: عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية الفونتيكا، ص ٢٠٥.

(٥) السابق: الموضع ذاته.

(٦) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٢٨.

"الأصوات الساكنة وأصوات اللين"، بل جعلهما عنوانا لهذا الموضع. وعلى هذا يتبين أن الشيخ أفاد بشكل واضح مما اقترحه أنيس، وإن لم يقل هذا صراحة.

غير أن هنالك خلافا ملحوظا بين اقتراح الشيخ وأنيس، أنهما اتفقا في المقترح المقدم حول "الأصوات الساكنة" واختلافا حول المقترح المقدم لــ Vowels؛ فقد ارتضى أنيس أصوات اللين[١]، في حين استعمل الشيخ "أصوات العلل" على ما أوردنا أعلاه، غير أن الذي ينبغي الإشارة إليه أن إبراهيم أنيس استعمل في مواضع أخرى "أصوات العلة وحروف اللين، لكن "أصوات اللين"[٢]، جاءت في مرتبة أساسية عنده.

وعلى هذا، فقد اتفق اللغويون على عدد من المقترحات، على ما هو ظاهر لدى الشيخين، فارقوا فيها بدرجات متفاوتة ما اقترحه مندور، فإذا كان أنيس قد أعرض إعراضا تاما عن اقتراح مندور، فإن الشيخ تعامل مع اقتراح مندور وذهب به بعيدا مقارنة باستعمال الأول، على ما يتبدى لديه في مادة الدراسة هنا، ومن ثم نلاحظ أن جوانب الاتفاق والاختلاف قائمة بين الشيخين الفاضلين.

وعلى الرغم من أن كلا الجانبين ظاهر وواضح لديهما، إلا أني أرجح أن تأثر الأخير بالأول كان الأكثر والأقرب، وإن جاء بشكل غير مباشر؛ أولا: لأنه استعمل مقترحي أنيس على النحو المشار إليه، على الرغم من التباين البادي في استعمال "أصوات لين" لدى أنيس و"أصوات علة" لدى الشيخ، وإن كان أنيس استعمل "أصوات علة" على ما أشرت إليه أعلاه، لكنه لم يكن المقترح الأول لديه لكنه استعمله. وتؤدي هذه الملاحظة إلى أن جوانب الاتفاق كانت أكثر بكثير من جوانب الاختلاف، كما أن جوانب المقاربة بينهما تتمثل في عدم استعمال أنيس لــ"أصوات صامتة وأصوات صائتة" وكان أمره واضحا في عدم استعماله لهما طيلة الكتاب وكذلك الشيخ، وإن أشار إليهما إشارة خاطفة، كما أنه وضعهما في المتن خلاف أنيس، ويبدو أن الذي أدى به إلى هذا الصنيع، أن مرحلة الشيخ كان المقترحان "أصوات صامتة وأصوات لين" قد تبوأ مكانة مرموقة، ويكاد يجمع عليهما الدراسون، خاصة أن الفترة بين مؤلَف أنيس "الأصوات اللغوية" ومادة الدراسة لدى الشيخ هنا، ما يناهر نصف قرن تقريبا، على ما تظهره تواريخ نشر الملفَين لدى الشيخ، وكانت اللسانيات قد تبوأت مكانة فيه، بحيث ضبطت كثيرا من المفاهيم، واستجدت مناهج لم تكن من ذي قبل.

ويظل الأمر يحتاج إلى بيان حول هذه الجزئية، فإذا كان الحديث عن مسرد المصطلحات في نهاية الكتاب والاقتراحات في ثنايا الكتاب، كان ينبغي عليه ألا يشير إلا لما هو مستعمل، ويترك

---

(١) السابق: الموضع ذاته.
(٢) أشرف عبد البديع: نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، ص ١٣٨.

الأثارة الباقية من المقترحات، ويشير إليها في الحاشية على نحو ما فعل في مقام آخر[1]، فضلا عما أوردت من ملاحظ عليها في مقامها من البحث.

٨/١: خلاصة الكلام على مقترحات الشيخ أحمد مختار:

وإذا كان لنا من قول فصل في هذا السياق الختامي، فأني لاحظت من خلال رصد ما ورد في ثنايا السفرين في المواضع المذكورة (ينظر: ٣/١ من البحث) أن الشيخ استعمل عددا من المقترحات وهي كلمات لا مصطلحات، إذ يبدو أنها لم تصل بعد إلى درجة التلقي المصطلحي عنده في تلك الحقبة أو حسب تصوره، لكنها هكذا على ما تصوره أفعاله قبل أقواله في آلية التعامل مع المصطلح بوجه عام وهذين المصطلحين بوجه خاص. كما لاحظنا من خلال هذا البحث في طريقة تعامله مع المصطلحين، أنه لم يكن يرتكن إلى ركن شديد، ويبدو ذلك جليا ساطعا، حين قدم عدداً من المقترحات للمصطلح الغربي الواحد، وما هو أغرب في طريقة الشيخ حين التعامل مع هذين المصطلحين.

وإذا كان، على ما أوردت، الشيخ أورد أربعة مقترحات في السفر الأول، واثنين في السفر الثاني، فإن هذا يؤكد ما ذهبت إليه، وأن هذه المقترحات ليست سواء، ومن ثم فقد تخلص منها في السفر الثاني، ومن ثم، هل يعني هذا أنه لم يكن يعتني بهذا الأمر كثيرا؟! وكيف لم يعتن ؟! وقد أشار إلى هذا في سياق آخر من السفر الأول على ما أوردته.

أما المكافئ الآخر Vowels، فقد اقترح له أربعة مكافئات هي: علة، لين، صائت، طليق[2]. ويبدو أن مصطلح "طليق" يُقصد به أن هذه الأصوات لا يعوقها أي عائق، وهي صفة جوهرية فيها، وقد أوضح ذلك بقوله: وأصوات العلة Vowels sounds تنتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك (لاحظ احتمال مد الصوت لا نهائيا، وتردد الجرس الصوتي، والانفتاح النسبي لمجرى الصوت في مثل آه ــ أوه)، أما الأصوات الساكنة فيصاحبها قدر كبير من التوتر والاحتكاك، وفي بعض الحالات غلق كامل لمجرى الهواء ثم فتحه الفجائي[3].

لاحظ قوله في النص "إن أصوات العلة تنتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك" وهو ما يعني أن فيها استمرارية؛ أي تسغرق وقتا أطول، وهو ما سماه ماريوباي بالاستمرارية، وهو ما يسميه القدماء بأصوات المد، كما أنها أكثر وضوحا في السمع مقارنة بالأصوات الصامتة، وبحد أدني من التوتر والاحتكاك، وهو ما يعني أن هناك قدرا كبيرا من الحرية تجعل هذه الأصوات تتصف بالطلاقة "طليقة" وهو ما أوضحه في موضع لاحق بقوله: وعن إنتاج أصوات العلة ينفتح الفراغ الفموي بوجه عام، ويكون حرا من العقبات بالقياس إليه عند

(١) أشار الشيخ إشارة خاطفة حين ترجم كتاب ماريوباي، ينظر أسس علم اللغة، ص ٤٦ من الحاشية.
(٢) من خلال مقابلة النصوص يتضح أن ابن جني صاحب المصطلحات الثلاثة الأولى. ينظر ابن جني: سر صناعة الإعراب ١ /٤٧.
(٣) ماريوباي: أسس علم اللغة، ص ٧٨.

إنتاج الأصوات الساكنة(١). وهو ما يفسر النص السابق المذكور في موضع آخر، ويبدو أن هذه الكلمات، حسب تعبير الشيخ، قد أوردها لا على أساس أنها مصطلحات تعامل بها علماء الأصوات، ولكن على أساس أنها عبارات/ كلمات شارحة في مقامات عدة، وربما أدت هذه الرؤية بالشيخ إلى أن يفعل شيئين يبدوان على طرفي نقيض، الأول: ما أورده في النص السابق من حاشية ص٤٦ أنها كلمات وليست مصطلحات، الثاني: أنه أورد في معجم المصطلحات هذه الكلمات التي ليست مستعملة إلا في تلك المواضع التي أشار إليها فيها في معجم المصطلحات، ربما على أساس أنها تمثل عنصرا في تلك الصفحات، أو ما يمكن اعتباره مصطلحات في هذه الصفحات دون سواها من المواضع الأخرى من الكتاب، الثالث: وهو الأهم، إذا كانت هذه كلمات وليست مصطلحات بناء على ما هو وارد لديه، ومن ثم، كان ينبغي ألا تكون مذكورة في هذا المعجم باعتباره معجما مصطلحيا يخص المصطلح لا الكلمات. ومن ثم فإنه على الرغم من أنه أشار إلى أهمية الموضوع في سياق سفره الأول، إلا أن الأمر ندَّ عنه بشكل لافت للنظر، على ما يبدو من خلال المقارنة بين السفرين.

وعلى الرغم من أنه اختار مقترحين في السفر الثاني، إلا أن متابعة ثنايا الكتاب تظهر الحيرة التي كان يكابدها في اختيار المكافئ بوجه عام. ويبدو أنه حين ترجم السفر الأول شعر بحجم المشكلة العويصة في ترجمة المصطلح اللساني، فأشار إليها على ما أوردنا في صفحة ٤٦ من الحاشية، إلا أنه حين تعرض له في السفر الثاني، غيَّر فكرته، أو بتعبير أكثر تحديدا من ذي قبل، حاول أن يقلص العدد، وهذا يعني أنه فكر في المشكلة بشكل عميق، إلا أن صوغ المكافئين المقترحين من قبله، يشير إلى أنه لم يستطع أن يرجح مكافئا على آخر، فذكر مقترحين وأخصهما بمعالجة مفصلة فيما نستقبله من حديث في المطلب القادم.

إذ تارة يذكر مقترحا واحدا لهذين المصطلحين، ولم يفعل هذا إلا مرتين، نزلة في عناوين الفصول وأخرى في مسرد المصطلحات؛ أقصد فهرس كتاب "دراسة الصوت اللغوي"؛ لأن موضوعه علم الأصوات، خلافا لكتاب ماريوباي المترجم الذي كان موضوعه اللسانيات العامة "أسس علم اللغة"، وقد قلت في صدر البحث إن طبيعة السفرين ستؤثر بشكل أو بآخر على طريقة التعامل مع هذين المصطلحين أو المصطلحات بشكل عام، وهنا كان مضطرا إلى أن يصنع هذا الصنيع؛ لأن طبيعة العنوان تميل إلى الإيجاز والبيان، فكان عليه أن يختار مقترحا واحدا من عدد من المقترحات العديدة التي اقترحها، فضلا عن الآلية التي استخدمها، فقد استعمل طريقتين غير منسجمتين، الأولى: من خلال متابعة السفرين، خاصة "دراسة الصوت اللغوي" لم يبق على حالة واحدة، فتارة يذكر مقترحا واحدا، وأخرى يذكر مقترحين وثالثة يذكر أكثر مما سبق، الثانية: أن هذه السياقات التي وردت فيها هذه الاقتراحات لديه، كأنها فرضت عليه فرضا، يبدو ذلك من خلال

(١) السابق، ص ٧٩.

متابعة واعية لتلك المواضع التي وردت فيها المقترحات، وعلى بينة من هدي هاتين النقطتين، يبدو أنهما تعكسان قلق الشيخ؛ لأن الخلل ظاهر والقلق بادٍ في طريقة التعامل معهما، وينسجم هذا الاستنتاج مع ملحظين وردا لديه، الأول: مباشر: وأعني به تلك الإشارة التي أوردتها للشيخ في كتاب ماريوباي "أسس علم اللغة" حاشية ص ٤٦، وهو كلام للشيخ، يعكس التردد والقلق والحيرة التي كان يعايشها، كما كان أسلافه، الثانية:غير مباشرة، وأعني بها التعدد في كيفية التعامل مع هذين المصطلحين، وهنا أحاول أن أوجز طريقة الشيخ في التعامل مع هذين المصطلحين، على النحو الآتي:

الأولى: في عناوين الفصول وفهرس الموضوعات، لم يذكر إلا مقترحا واحدا، على ما يبدو في كتابه، وقد أشرت إلى هذه الملاحظة أعلاه. الثانية: في ثنايا الكتاب؛ أقصد في ثنايا التحليل خلال فصول الكتابين، وقد تعامل معهما كما يأتي:

في بداية عناوين الفصول خاصة عند المصطلحات الغربية الرئيسة، اقترح لها أكثر من اقتراح على ما أوردناه في ثنايا التحليل (ينظر: ٥/١ من البحث).

٢ ــ في ثنايا التحليل داخل الفصول نراه لم يذكر إلا مقترحا واحدا فقط، وترك المقترحات الأخرى، وقد أشرنا إلى هذه المقترحات الأساسية في ثنايا التحليل، بحيث لا تحتاج إلى إعادتها هنا نزلة أخرى.

٣ ــ في مسرد المصطلحات، يعرض لعدد من المقترحات لم يرد لها ذكر في ثنايا التحليل، بل ورد منها في اقتراحاته في بعض العناوين الفرعية للعناوين الرئيسة لبعض الفصول أو كل الفصول على ما أوردنا سلفا.

إذن، هذه الطرائق للشيخ الجليل تظهر القلق البادي لديه، وهو قلق انعكس سلبا على هذه الطرق الذي بدا فيه عدم الانسجام إلى حد بعيد، إذ نلاحظ عليه في ثنايا التحليل أنه بقي على حالة واحدة في استعمال مقترح واحد، وأصر عليه إصرارا وقد نجح في ذلك، كما هي الحال مع عناوين بعض الفصول، لكن اللافت للنظر أنه تجاوز هذا في العناوين الأساسية، لكنه حين راح يبدأ في التحليل لم يستطع أن يتخلص منها تماما، فبدت شاخصة في العناوين الفرعية إما عند أول مرة يعرض لهذه المقترحات وإما في بداية الفصول، ويبدو أن طبيعة المعالجة هي التي فرضت عليه ذلك، ففي كتابه "دراسة الصوت اللغوي" كان لديه من المجال والمكان ما يجعله يعرض له في بداية الفصل أو كلما وجد إلى ذلك سبيلا في المتن، أما في الترجمة فكان يعرض غالبا لمثل هذه الحالات في الحاشية. لكن صنيع الشيخ مع الطريقة الثانية لم تكن بشكل مباشر وصريح، وإنما بدا عليه الاستحياء على ما أوردناه (ينظر: ٧/١ من البحث)، أما الموضع الثالث الذي ذكر فيه الشيخ عددا من المقترحات، وهذا ليس عيبا بقدر ما توصيف لحالة من حالات التعامل مع المصطلح الغربي لدى باحث في قيمة وقامة الشيخ، لكن الأغرب الغارب، أنه أورد مقترحات لم يرد لها ذكر في

الأولين. وعلى هذا بدا التضارب لا التناقض بينها، كما أنه أورد عنوانا سماه مسرد المصطلحات في الكتابين، على الرغم من أنه في كتاب ماريوباي سماها كلمات لا مصطلحات، على ما أوردناه في ثنايا التحليل.

وإذا كانت النقاط السابقة تضع أيدينا على طرق تعامل الشيخ مع المصطلح بوجه عام، وهذان المصطلحان بوجه خاص، ويبدو أن الشيخ كان يقصد إلى هذا قصدا، فهو يعلم أن بنية الكتاب الرئيس في التحليل، ومن ثم لم يشأ أن يرهق القارئ ومتن النص بعدد من المقترحات التي تؤخذ عليه من ناحية، وتجعل من المادة العلمية مادة فيها من الرطانة ما ينأئ الشيخ بها عن ذاته، وعلى هذا سلك فجا واحدا، وهو اقتراح مكافئ عربي واحد، والذي يؤكد هذه الملاحظة أنه في بداية الفصول استعمل اقتراحين على ما وصفناه لدى الشيخ بأنه جاء على استحياء.

ومن ثم يبدو أن هنالك آلية عمل من خلالها الشيخ وكانت مقصودة، فحين التعامل مع النص أو المتن لا يريد أن يرهق القارئ من أمره عسرا، فكانت الطريقة المشار إليها، وإن كان هذا لا يمنعه في يذكر مقترحا آخر فرعي مع الأساسي، لكنه لا يريد أن يطيل فيذكر مقترحا واحدا، وكأنه يريد أن يعطي إشارة سريعة وخاطفة دون أن يزيد من عنائه. ثم تأتي الطريقة الثالثة التي أورد فيها كل شيء، ويبدو أنه كان يعني مقترحات السابقين عليه، وإلا لماذا أورد مقترحات لم تستعمل في الكتاب سواء في المتن أم في الحاشية؟ إن هذا الصنيع ليس له إلا مبرر واحد إلا أنه أراد أن يضع مقترحات السابقين في مسرد المصطلحات، صحيح هو لم يقل بهذا صراحة، لكن صنيعه يوحي بهذا ضمنا. كما أن هذه الإشارة في مسرد المصطلحات تشير إلى المفارقة بينه وبين الموضعين السابقين، أن هذا الموضع يختلف عما سبق في أنه لا يعرض لرؤيته الشخصية بقدر ما يعرض فيه كل ما ورد من آراء السابقين، وإن كانت الملاحظات هذه إلى صل لدى الشيخ إلى درجة التلقي المصطلحي، حين وصفها بالكلمات في سياق سابق.

٩/١: المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١ ــ أحمد مختار عمر (دكتور):

ــ دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، بدون طبعة،.١٩٩٧

٢ ــ ماريوباي:

ــ أسس علم اللغة، تر. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٨.

ثانيا: المراجع:

١ ــ إبراهيم أنيس (دكتور):

ــ الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠، الطبعة السابعة،

٢ ــ أبو الفرج الأصفهاني:
ــ الأغاني، الجزء السادس، والجزء السادس عشر، طبعة دار الكتب المصرية.
٣ ــ أحمد مختار عمر (دكتور):
ــ المصطلح الألسني العربي، عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩، عدد الألسني، ص ص ٣: ٤٠.
٤ ــ أشرف عبد البديع عبد الكريم (دكتور):
ــ نحو استثمار أمثل لتعدد المكافئات العربية دراسة تطبيقية لمصطلحي الأصوات الساكنة وأصوات اللين في "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، ألقي في الموسم الثقافي لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للعام الجامعي ٢٠١٤، ٢٠١٥.
ــ طرائق نقل المصطلح اللساني في المؤلفات العربية، ضمن كتاب: دراسات تطبيقية في علم المصطلح، عالم المعرفة، المنيا، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
٥ ــ تمام حسان (دكتور):
ــ مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الرباط، ١٩٨٦.
٦ ــ ابن جني (ت ٣٩٢ هــ):
ــ سر صناعة الإعراب، الجزء الأول، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق.
٧ــ سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمنبر "ت ١٨٠ هــ":
ــ الكتاب، كتاب سيبويه، الجزء الرابع، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
٨ ــ عز الدين إسماعيل (دكتور):
ــ المصادر الأدبية واللغوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، بدون طبعة.
٩ ــ عصام نور الدين (دكتور):
ــ علم الأصوات اللغوية، الفونتيكيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، الطبعة الثانية، ١٩٩٣.
١٠ ــ كوركيس عواد:
ــ الورق أو الكاغد؛ صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٢٣، العدد الأول، ١٩٤٨، مطبعة الترقي بدمشق، ص ص ٤٠٩: ٤٣٨.
١١ ــ ديفيد إبركرومبي:
ــ مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة د. محمد فتيح، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

١٢ـــ محمد مندور (دكتور):

ــ النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦، بدون طبعة.

١٣ ـــ محمد الأنطاكي:

ــ دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٦٩.

ــ الوجيز في فقه اللغة، طبعة ١٩٦٩.

١٤ـــ محمود السعران (دكتور):

ــ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، النشر: دار النهضة العربية للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، بدون طبعة.